

عبدحميد كشكس

## رحلة مباركة مع القرآن العظيم

المكتبة المصرية الحديث

[www.almaktabalmasry.com](http://www.almaktabalmasry.com)

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

المكتبة المصرية الحديث

[www.almaktabalmasry.com](http://www.almaktabalmasry.com)

[info@almaktabalmasry.com](mailto:info@almaktabalmasry.com)

---

ت: ٣٩٣٤١٢٧

القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء

ت: ٤٨٤٦٦٠٢

الإسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونثى عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد

فإنه مما يدعو إلى الرجاء في الأمة الإسلامية عامة وفي الدعوة إلى الله بصفة خاصة، أن تقبل على المناهل الصافية في علوم الإسلام ومما يزيد في هذا الأمل أن يترجم هذا الكلام إلى عمل.

فقد مدح الله تعالى قوماً يستمعون القول فيتبعون أحسنه فقال:

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿٧٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَوْلَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

لقد كان أول أمر صدر منك إلى حبيبي ومصطفاك أمراً بالقراءة:

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ .

وفي الأمر بالقراءة أمر بالكتابة، فقد علمت بالقلم، ووظيفة القلم . الكتابة . وأقسمت بالقلم فقلت:

﴿رَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

وقد أمر حبيبك ومصطفاك بالكتابة فقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لما سأله وقال له:

يا رسول الله إنك بشر تغضب وترضى، أفنكتب عنك وقت الغضب؟

قال له الرسول الكريم:

"أكتب فوالله ما خرج منه إلا حق" مشيراً إلى فمه الشريف.

سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى  
أرسلت بالتوراة موسى هادياً وابن البتول فعلم الإنجيل

فيا أيها المسلمون أقبلوا على كتاب الله وسنة رسوله علماً وعملاً،  
رواية ودراية، وكونوا على بصيرة من أن: "من أراد الدنيا فعليه بالعلم،  
ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم".

فالعلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال. ولا بد مع  
العلم من التخلق بالخلق الكريم.

لا تحسبنا العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق  
فاذا رزقت خليقة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

لقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم هادياً ومعلماً، فكان هو  
الأمى الذى علم المتعلمين، واليتيم الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين،  
لقد جعل الله بعثته نعمة، لا تدانيها نعمة،

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا  
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ  
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

لقد جاءت هذه الآية استجابة لدعوة إبراهيم الخليل على نبينا وعليه  
الصلاة والسلام - لما دعا ربه - فقال: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ  
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴾. وصلوات ربي وسلامه عليك أيها النبي الكريم، يا من بلغت  
الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة ومحوت الظلمة، وجاهدت في  
الله حق جهاده حتى أتاك اليقين. فجزاك الله عنا يا سيدي يا رسول الله  
خير ما جزى نبياً عن أمته ورسولاً عن قومه وصلى الله على سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه وسلم.

## رحلة مباركة مع القرآن العظيم

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ صدق الله العظيم.

عندما يلجأ المسلم إلى الله ويركن إلى جنبه: ينشرح صدره، ويشعر قلبه بالطمأنينة، ويستقر فؤاده بالسكينة.. وهل يجد البشر في أرجاء هذه الدنيا مناراً يستضيئون به أو يآوون إليه إذا لفحتهم حرور الحياة: أفضل وأعز من كتاب الله؟

إننى أقف مرفوع الرأس عزيز الجانب، عندما أقرأ هذا الحديث الشريف الذى دار بين معاذ بن جبل وبين نبي الرحمة وإمام الهدى محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول معاذ: يا رسول الله: عظنا موعظة ننتفع بها، فبأى شئ وعظه الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟

كانت الموعظة تحديداً للمفاهيم وتبيانا للحقائق بأسلوب فيه الإعجاز والبلاغة كلها:

قال الرسول ﷺ فى موعظته:

"إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والهدى يوم الضلالة، والظل يوم الحرور، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن، حرز من الشيطان، ورجحان فى الميزان".

صدقتم يا سيدى يا رسول الله.

فالقرآن هو القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة، والمنهج المستقيم، وهو الضياء، والدواء، والشفاء، وهو مفتاح السعادة فى الدنيا والآخرة.

## أقوال الأئمة فيه:

وقد ذكر الإمام الطبري أن القرآن الكريم من أعظم ما خص الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية، الذي لو اجتمع جمع من جنّها وإنسها وصغيرها وكبيرها على أن يأتوا بسورة من مثله لما استطاعوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فجعله لهم في دجى الظلم نوراً ساطعاً، وفي ظلمة الشبهة شهاباً لامعاً، وفي مضلة المسالك دليلاً، وإلى سبيل النجاة والحق هادياً.

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

حرسه بعين منه لا تتام، وأحاطه بركن منه لا يضام، لاتهى على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معاملة، ولا يجوز عن قصد الحجة تابعه، ولا يضل عن سبيل الهدى مصاحبه، من اتبعه فاز وهدى، ومن حاد عنه ضل وغوى.

فهو موئلهم الذي إليه عند الإختلاف يثلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعقلون، وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون، وفصل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضا به يصنرون، وحبلة الذي بالتمسك به من الهلكة معتصمون.

ويقول الإمام الزركشى في مقدمة كتابه:

"البرهان" كلاماً كالدر النظيم، رأينا أن نسجله هنا، لما له من روعة وجلال يقول رحمه الله:

أما بعد، فإن أولى ما أعملت فيه القرائح وعلقت به الأفكار للواقع، الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة وهو شفاء الصدور،

والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذى ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وستاؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول. وظهرت فصاحته على كل معقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن فى الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه إلى ما ينشط السامع، ويقرط المسامع من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيهه بنيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، وترديد ما له مزيد، إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة، والصناعة الرفيعة، فهو من تناسب ألفاظه وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، كل كلمة لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها عزة، ومن بهجتها درة، لاحت عليها بهجة القدرة، ونزل ممن له الأمر، فله على كل كلام سلطان وإمرة، بهر النفوس بتمكن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله وبديع إشارته، وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة، إلى مواعظ زاجرة وأمثال سائرة وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، بالتنزيه والتحميد سائره، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار، إن كان سياق الكلام ترجية: بسط. وإن كان تخويفاً: قبض. وإن كان وعداً: أبهج وإن كان وعيداً: أزعج. وإن كان دعوة: حذب. وإن كان زجرة: أرعب، وإن كان موعظة: أقلق، وإن كان ترغيباً: شوق! فسبحان من سلكه ينابيع فى القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب، لا تستقصى معانيه فهم الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، وأصطفاه به وتذكره.

## أقوال المستشرقين فيه:

قال "جاستون كارمن" من مستشرقى فرنسا المشهورة فى سلسلة مقالات نشرها فى جريدة "فيجارو" عام ١٩١٣م:

إن القرآن وهو منبع هذا الدين العقلى ودستوره، قد احتوى على أسس تستند إليها حضارة العالم، ففى إمكاننا أن نقول إن هذه الحضارة نشأت من امتزاج الأسس التى نشرها الإسلام.

ويقول المؤرخ الإنجليزى "إدوارد كيبون":

إن موحداً ذا رأس فلسفى لا يتردد لحظة فى قبول وجهات نظر الإسلام، فالإسلام دين أعلى من تطورنا الفكرى اليوم!

أخى المسلم:

أقبل على القرآن وتفهيم معانيه، فليس هناك شك فى أن عدم الوقوف على تفسير القرآن الكريم يجعل الإنسان جاهلاً بمقاصد هذا الكتاب الإلهى المجيد.

ولذلك جاء فى تفسير الطبرى قوله:

حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما فى آيات القرآن من المواعظ والتبيان، بقوله جل ذكره لنبيه ﷺ:

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

وقوله:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

وما أشبه ذلك من آى القرآن التى أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آى القرآن، والاتعاظ بمواعظه، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات، لأنه محال أن يقال لمن

لا يفهم ما يقال له ، ولا يعقل تأويله اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان ، إلا على معنى الأمر بأن يفهم ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به .

فالأوجب على العلماء الكشف عن معانى كلام الله ، وتفسير ذلك وطلبه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ، ثُمَّ قَلِيلًا مِمَّا يَشْتُرُونَ ﴾

لقد ذم الله أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتابه المنزل عليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها ، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله .

فعلينا نحن المسلمين أن ننتهى عما ذمهم الله تعالى به ، وأن نأتمر بما أمرنا من تعلم كتابه ، المنزل إلينا ، وتعلمه وتفهمه وتفهمه

فإن أصحاب محمد ﷺ الذين تخرجوا فى أعظم مدرسة تتلمذوا فيها على يدى الكتاب والسنة - كنت تسمع القرآن منهم وله دوى كدوى النحل .

حفظوه فى صدورهم ، وعملوا به فى حياتهم ، وفتحوا به الدنيا فدانى لهم ، فلما أهملنا نحن هذا النهج تفرقت كلمتنا ، وأصبحنا مطمع الحاقدين ، وهانت علينا أنفسنا ، فهنا على الناس .

اللهم أجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء همنا وغمنا .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## الحث على مدارسة القرآن

بدأنا فى مقالنا السابق رحلتنا مع القرآن الكريم وأقوال الأئمة والمستشرقين فيه، والآن نواصل ما بدأناه فى تلك الرحلة المقدسة فنقول وبالله التوفيق:

لقد بلغ من ترغيب الرسول ﷺ فى الحرص على تلاوة القرآن ودراسته أنه قال:

"ما أجمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده".

أخى القارئ الكريم:

أرأيت مكاناً أجمل وأعظم من هذه الروضة المباركة؟

إنه مكان تنزل فيه السكينة.. وما أدراك ما هى؟

إنها مملكة من ممالك الله العليا، يختص بها من يشاء من عباده.

إذا حلت بالقلوب أكسبتها طمأنينة واستقراراً، ومن ثم فقد ورد ذكر السكينة فى كتاب الله تعالى فى مواقف حاسمة تكاد تتخلع منها القلوب لشدة ما فيها من الهول، فإذا بالسكينة تنزل على الأفئدة كما تنزل قطرات الندى على الزهرة الظمأى.

ورد ذكر السكينة عندما كان رسول الله ﷺ فى الغار مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

والموقف شديد يفسره قول أبى بكر: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر لى موقع قدميه لرآنا، فيقول السيد الجليل محمد ﷺ:

"يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا".

وعندئذ تنزل السكينة، وهى النعمة العظمى فيقول سبحانه:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾

وفى غزوة "حنين"، وقد أحتدم الخطب، وأدلهم الأمر. كما قال ربنا  
جلّ وعلا:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا  
وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾

فماذا حدث؟ والشدة قد استحكمت حلقاتها، فالكثرة العددية لم  
نغن شيئاً، والأرض بأرجائها الرحبة قد صاقت، والنبى ﷺ فى ثبات  
وعزيمة ينادى: "أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب".

إنها السكينة قد نزلت، كما قال مولانا تبارك اسمه:  
﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا  
لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾  
وجاءت السكينة فى سورة "الفتح" امتناناً من الله تعالى على عباده،  
لتكون غايتها ازدياد إيمان المؤمنين.

قال جل شأنه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ  
إِيمَانِهِمْ ﴾

وتأتى السكينة فى موضع آخر من سورة "الفتح" أيضاً فى بيعة  
الرضوان، حين وقف الصحابة يبايعون رسول الله ﷺ على القتال صفاً  
واحداً إن كان أهل مكة قتلوا عثمان بن عفان سفير رسول الله إليهم،  
فتنزل السكينة تشبيهاً وتقوية وتوكيداً.

قال جل شأنه:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ  
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

كما تجئ في موضع ثالث من سورة "الفتح" أيضاً وذلك أثناء توقيع المعاهدة بين المسلمين والمشركين في صلح الحديبية، وحين ركب سهيل بن عمرو مندوب المشركين رأسه ويأبى أن يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" ويكتب "باسمك اللهم" كما يأبى أن يذكر في المعاهدة اسم رسول الله، بعنوان الرسالة، ويقول: بل أكتب محمد بن عبد الله، إلى غير ذلك من التعنت والتعسف، وعندئذ تثور ثورة المسلمين، لكن الله تعالى -لحكمة يعلمها، وخير كثير سوف يعود على المسلمين من تلك المعاهدة -ينزل السكينة على المؤمنين تثبيتاً وتقوية، يقول جل شأنه وصفاً لهذا الموقف:

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

والمراد بكلمة "التقوى" هنا: هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

تلك مواقع السكينة في جلالها وجمالها وكمالها إن تلك النعمة - كما جاء في الحديث الشريف الذي ذكر آنفاً -تنزل مع الرحمة والملائكة على الذين يجلسون يقرأون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إنهم ينالون شرفاً كبيراً وقدراً رفيعاً، إذ أن الله جل جلاله يذكرهم فيمن عنده من الملائكة الأعلى.

فما أعظم هذا الشرف!

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ ﴿١٣١﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٣٢﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

وإذا علمت أن تلاوة القرآن وتدارسه له من الشرف ما يجلب عن الوصف، فإن العلم به يزيد هذه المكانة قرباً وحباً إلى الله.

قال مجاهد رحمه الله :  
"أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل".  
والمراد بهؤلاء: هم الذين يقرون العلم بالعمل.

لذلك قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما -أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلمو ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

إعلم يا أخى وفقك الله أن لتفسير القرآن أهمية كبرى، ليتسنى لك العمل بما فيه، وإلا فكيف يعمل الإنسان بما لا يفهم معناه؟

قال إياس بن معاوية رضى الله عنه: مثل الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتم روعة، ولا يدرون ما فى الكتاب، ومثل الذى يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما فى الكتاب

### فضل تعلم القرآن والواجب على قارنه وحافظه:

إن تعلم القرآن لهو نعمة من أعظم النعم التى امتن الله بها على عباده. ولقد قرنها الله تعالى باسمه العظيم، وجعلها مظهراً من مظاهر رحمته، وقدمها فى الذكر على خلق الإنسان، وذلك لشرف القرآن وعلو قدره، إذ هو القائد الموجه، والمرشد الصدوق، والإنسان هو المقود والتابع، ومن حق القائد أن يتقدم المقود.

يقول سبحانه:

﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ﴾

فنعم الذى علم. ونعم القرآن، ونعم من تعلمه!

قال رسول الله ﷺ: "القرآن حجة لك أو عليك".

فانواجب على من خصه الله بحفظ كتابه: أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبادته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه.

قال الله تعالى:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾

وقال عز وجل:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُمِّ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

يقول الإمام القرطبي رحمه الله، بعد أن حمد الله وأثنى عليه: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد، الواحد الحي القيوم الذي لا يموت، ذو الجلال والإكرام والمواهب العظام، والمتكلم بالقرآن والخالق للإنسان، والمنعم عليه بالإيمان، والمرسل رسوله بالبيان: محمد ﷺ أرسله بكتابه المبين، الفارق بين الشك واليقين، الذي أعجز الفصحاء معارضته، وأعيت الأدباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

جعل الله أمثاله بشرى لمن تدبره، وأوامره هدى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام.

وكرر فيه المواعظ والتقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال، وقص فيه غيب الأخبار،

فقال تعالى:

﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

خاطب به أوليائه ففهموا، ومن فهم مراده تعلموا، فقراء القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، خلفاء أنبيائه وأمنائه.

وهم أهله وخاصته وجيرته وأصفيائه.

قال رسول الله ﷺ:

"إن لله أهلين منا، قالوا يا رسول الله: من هم؟ قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته".

فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواحيه، ويذكر ما شرح له فيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستحيه، فإنه قد حمل أعباء الرسل، وصار شهيداً في القيامة على من خالف من أهل الملل.

قال الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

اللهم اجعل القرآن نور قلوبنا وجلاء همنا وحزننا، وشفاء صدورنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### آراء المنصفين من علماء الغرب في القرآن الكريم

بعد أن تكلمنا عن فضل القرآن وتعلمه وتفهم معانيه، رأينا أن نذكر ما للقرآن من مكانة في آراء المنصفين من علماء الغرب، حتى يتبين للذين يولون القرآن ظهورهم، ويتسللون لوأذاً من أحكامه، يتبين لهم درجة العظمة التي شهد له بها قوم من المفكرين والغربيين وها هي ذى آراؤهم ننقلها كما جاءت عنهم.

قال "إدوار جيبوته" من مشاهير مؤرخي الإنجليز:

"إن موحدًا ذا دماغ مفكر، لن يتردد في الاعتراف بوجهات نظر الإسلام، فقد يكون الإسلام ديناً أعلى من تطورنا الفكري اليوم".

وقال المستشرق "كارلايل" وهو من أساتذة جامعة كامبردج:

"إن علوية القرآن في حقيقته العالية فهو حافل بالعدل والإخلاص، والدعوة التي بلغها محمد إلى العالم حق وحقيقة".

وقال "ستنفاس" مؤلف قاموس عربى إنجليزى:

"القرآن واحد من أهم الكتب التي انتقلت إلى الناس ليستفيدوا منها.. فهو سجل جامع لأسس الأخلاق والعقائد الكفيلة للناس بالتوفيق والهداية في حياتهم".

ويقول "ديود" مؤلف كتاب "روح الشرق":  
"الإسلام يقدم براءة النجاة للتابعين، وسجل أخلاق للمتبعين ويؤيدهما بالدين".

ومن محاضرة عن الإسلام ألقاها "مانويل كنج" سنة ١٩١٥م في كنيسة البرستمان "وهو من أفاضل علماء الإنجليز" قال:  
"إذا كان في عالم الإلهام أمر يدعى وحيًا، وكان للوحي وجود كامل، فلن يشك في أن القرآن كتاب منزل".

وجاء في عدد ١٢ أبريل سنة ١٩٢٢م لجريدة نيرايسست:  
"القرآن كتاب معجز، وخليق بالإعجاب من حيث التنزيل والترتيب.

إن لسان القرآن مخالف للساننا، وآراؤه تخالف آراءنا، ولكن إنكار قدره وقيمه وفضله وجماله من جهات كثيرة يكون حرماناً من العقل والمنطق".

وقال المستشرق "سيد يو" في كتابه "تاريخ بلاد العرب":  
"القرآن جامع لكل أسس الأخلاق والفلسفة، فالفضيلة والرذيلة، والخير والشر، وماهية الأشياء الحقيقية، كلها مبينة في القرآن، فقد أوحيت آياته إلى محمد ﷺ بحسب احتياجات الزمان وحوادث العهد".

ومن كتاب "حياة محمد" للفيلسوف الفرنسي "الكس لوازون":  
"خلف محمد للعالم كتابًا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق وكتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية التي كشفت حديثًا، أو المخترعات الحديثة، مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية، مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية".

وقال الكاتب الأمريكي "واشنطن ايروفيتج":  
"يحوى القرآن أسمى الآراء وأنفعها وأكثرها إخلاصاً"

وعن المستشرق والفيلسوف الألماني "يوجان يعقوب رايس":  
"ما إن يتعلم بعض الناس قليلاً من اللغة العربية حتى يقوموا بمحاولة  
الاستهزاء بالقرآن ولو استمعوا إلى قدرة القرآن المثيرة الفصيحة  
والعظيمة المؤثرة، وأحسوا باللسان المحير للألأباب، الذى استخدمه  
الرسول حين أفهم القرآن أصحابه: لوقعوا فى الحضرة الإنهية صائحين  
يا رسول الله أغثنا ولا تحرمنا من شرف الدخول فى أمتك".

أخى القارئ الكريم:

إن أى مسلم لا يتعلم القرآن ولا يفهم معانيه قد فاته خير كثير يجب  
عليه أن يتداركه قبل فوات العمر، لما فى ذلك من الفضل لعظيم له فى  
دنياه وآخرته.

فالقرآن فى الدنيا هدى ورحمة، وفى الآخرة شفيع وحنة.

وقد جاء فى الحديث القدسى الجليل:

"إنه إذا كان يوم القيامة قال الله: أين جيرانى؟ فتقول الملائكة:  
ومن ذا الذى ينبغى أن يجاورك يا رب العزة؟ فيقول جل فى علاه: أين  
قراء القرآن وعمار المساجد".

وحسب من يقرأ القرآن أنه فى تجارة رابحة مع الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ۗ لِيُؤَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم  
مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

ويوم يشغلك القرآن وذكر الله عن مسألته تبارك ونعالى فسيعطيك  
الله أفضل ما يعطى الساتلين.

قال ﷺ فيما رواه عن رب العزة جل في علاه:  
"من شغله القرآن وذكره عن مسألتى: أعطيته أفضل ما أعطى  
السائلين".

ولو علمت الخلائق ما فى القرآن من فضل: ما غفلوا عن تعلمه  
وتلاوته والعمل به!

وحسبك أيها المسلم فى هذا المقام قول رسول الله ﷺ:  
"فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه".

اقرأ يا أخى هذا الحديث متدبراً معناه: هل يستطيع أحد أن يدرك  
حقيقة فضل الله، وهو صاحب العظمة المطلقة والكمال المطلق،  
صاحب العزة القائمة، والمملكة الدائمة؟..

كمالاته لا تنتهى لا يحصرها عد، ولا يحيط بها حد.

فقارن بين فضل القرآن العظيم، وبين غيره من الكلام، لترى هذا  
الفضل قد بلغ من علو الرفعة مبلغاً لا يسامى، إنه كفضل الله تعالى  
على خلقه.

وإذا كانت الأمة الإسلامية فى هذه الأزمنة تعاني من الشدائد  
والأهوال ما يحرك العوالم ويسير الجبال، وإذا كانت الفتن التى تموج  
موج البحر قد عرضت على القلوب كما تعرض الحصير عوداً عوداً،  
فما المخرج من هذه الفتن وتلك الظلمات؟

يقول على كرم الله تعالى وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
"ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت يا رسول الله: وما المخرج  
منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم  
وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار  
قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين،  
ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا  
تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب مع الأراء، ولا يشعب

منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تتقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا:  
 إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم

نعم يا سيدى يا رسول الله:

إن المسلمين لن يجدوا موقلاً يلجأون إليه ليعصمهم من الفتن الهوجاء، التى عصفت ريحها ببروقها ورعودها ورفالها، إلا أن يلجأوا إلى كتاب الله، فهو موحد القلوب على العقيدة، والباعث فيها روح الأخوة، خشعت له قلوب الجن عندما سمعوه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ﴾ .

بل لقد بلغ من إكرام الجن لهذا الكتاب العزيز عندما سمعوه أنهم قالوا:

﴿أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۚ﴾ قَالَوَا يَنْقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ يَنْقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ۚ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ

فيا ليت الإنس من المسلمين إذا حضروا القرآن أنصتوا وتأدبوا كما أنصت الجن.

إنك لتجد اللغو وتعاطى المشروبات ولعب الشطرنج والورق والنرد وغير ذلك من ألوان العبث. تراه أثناء تلاوة القرآن الكريم.

وما أخرج القرآن من علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

إنه المأدبة الكريمة لمن أراد أن يتعلم، فهو أستاذ المعلمين، ومرشد العباقرة الموجهين وعميد جامعة الإسلام العظيمة التي تخرج منها أساتذة الأخلاق وأساطين الفكر.

روى ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

"إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن الكريم هو حبل الله المتين والشفاء النافع عصمة من تمسك به، ونجاة من اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا تتقض عجائبه، ولا يخلق عن رد، فأتلوه، فإن الله يؤجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما أنى لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".

عليك أفضل الصلوات وأتم التسليمات يا سيدى يا رسول الله.

### الترغيب فى تلاوة القرآن

اسمع إلى ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قراءة سورة البقرة" إذ يقول:

"لا ألفين أحذكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله"

وفى رواية: "إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن".

فيا معشر المسلمين: أقبلوا على هذه المأدبة واملأوا القلوب من خيراتها وأضيئوا بيوتكم بنورها، فإن الشيطان يرتعد ويهتز خوفاً وفزعاً من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة فطارده به، وإن البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يكون صفرًا ومقفرًا وخاليًا من البركة.. وما

أكثر الشياطين بشتى أنواعها :من أنس وجن ما أكثرهم في البيوت، فسلطوا عليها مدفعية القرآن الثقيلة بعيدة المدى، فتصير هباءً منثوراً.

تعلموا القرآن وعلموه الناس، فقد أخبر رسول الله ﷺ في الحديث الشريف عن فضل هذا فقال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

وقال ﷺ: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن: مثل الحنظل لا ريح لها وطعمها مر".

واعلم يا أخى أن المقصود بالقرآن في هذا الحديث الشريف أن تكون قراءة مقرونة بالعمل، فإن من يقرأ القرآن ولا يعمل بما فيه يكون موقفه أمام الله أدهى وأمر من غيره خصوصاً إذا أمر ونهى دون أن ياتمر وينتهى وصدق القائل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها  
تعيب دنيا وناساً عاملين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وإذا كان الرسول ﷺ قد شبه المؤمن القارئ العامل بالقرآن "بالأترجة" - وهى السفرجلة أو التفاحة - فذلك لطيب ريحها وحلو طعمها.

وقد روى أن من أتاه الله القرآن، فقام به آناء الليل وأطراف النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة الكرام.

قال سعد: "السفرة": الملائكة.

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران".

التمتع: هو التردد فى الكلام عيأ وصعوبة.

وإنما له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة.

ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأن القرآن كان متعتاً عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن أشبه الملائكة.

وهكذا تستمر المسيرة النبوية المباركة فى زحفها المقدس، تذكر لنا فضل القرآن وقارئه.

فهذا أبو هريرة رضى الله عنه يروى أن رسول الله ﷺ قال:

"من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وما أجمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فى من عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه".

وحسب أهل القرآن شرفاً وقدرأ أن القرآن يقف من صاحبه يوم القيامة أكرم المواقف، يسأل الله تعالى أن يمنح صاحبه الفضل العظيم.

قال ﷺ: "يجئ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرام، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقول له: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة".

هنيئاً لك يا من أعطيت هذا الشفاء وهذا الدواء والغذاء والهدى والرحمة والموعظة والبشرى.

هنيئاً لك إذا عملت بما علمت، إنك من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما على وجه الأرض أحد خير منك.

يقول صلوات الله وسلامه عليه:

"من أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة، ومن أعطى ثلثي القرآن فقد أعطى النبوة كلها، غير أنه لا يوحى إليه ويقال له يوم القيامة: اقرأ وارق، فيقرأ آية ويصعد درجة، حتى ينجز ما معه من القرآن، ثم يقال له: اقبض، فيقبض ثم يقال له: أتدرى ما فى يديك؟ فإذا فى يده اليمنى الخلد وفى اليسرى النعيم".

صلى عليك الله يا علم الهدى، يا من قال لك ربك:

﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَأْتٍ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝ ﴾

ويا من قال لك:

﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُرْمِلُ ۝ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ بَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قُرْءَانًا ثَقِيلًا ۝ ﴾

فوالله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد، ولو عملنا بما فيه لرفرفت راية الإسلام على كل بلد، ولو علمنا فضله ما غنلنا عنه!

يقول صلوات ربي وسلامه عليه:

"من قرأ القرآن وتلاه وحفظه: أدخله الله الجنة، وشفعه فى عشرة من أهل بيته، كل قد وجبت له النار!"

وقالت أم الدرداء:

دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ ممن دخل الجنة؟

فقالَت عائشة رضى الله عنها: إن عدد آى القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن.

وقال ابن عباس رضى الله عنه:

من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة  
سوء الحساب. وذلك لأن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ .

قال ابن عباس:

فضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى  
الآخرة.

وفى فضل القرآن يقول ﷺ:

"من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب  
من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين".

وينبغى لصاحب القرآن أن يطلبه بإخلاص لله تعالى، وأن يداوم على  
قراءته خشية أن ينساه..

فقد قال ﷺ:

"مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها  
أمسكها، وإن أطلقها ذهب".

وينبغى له أن يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه  
متوكلاً، وبه مستعيناً، وإليه راغباً، وبه معتمداً، وللموت ذاكراً، وله  
مستعداً.

وينبغى أن يكون خائفاً من ذنبه، راجياً عفو ربه، ويكون الخوف  
فى حال صحته أغلب عليه، إذ لا يعلم بما يختم له.

ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى فى نفسه، لحسن الظن بالله.

قال ﷺ: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله".

وينبغي لصاحب القرآن أن يكون أهم أموره لديه الورع في دينه،  
واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه..

قال ابن مسعود:

ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليته إذ الناس ناتمون، وبنهاره إذا  
الناس مستيقظون، وبيكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس  
يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وبحزنه إذ الناس يفرحون.

فطوبى لك ثم طوبى لك يا حامل القرآن وعاملاً به!

إن رسول الله ﷺ قد جعلك في مرتبة رفيعة، وخلع عليك أوسمة  
بديعة، فقال:

"من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقسط، وذى الشيبة  
المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه"

وروى أنس أن النبي ﷺ قال: "القرآن أفضل من كل شئ، فمن قرأ  
القرآن فقد قرأ الله، ومن استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله  
تعالى، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله. المعظمون كلام الله.  
الملبسون نور الله. فمن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد استخف  
بحق الله تعالى".

اللهم أجعل القرآن لنا نوراً يضى ظلمات حياتنا ويهدينا سواء  
السبيل، إنك على كل شئ قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم.

### حرمات القرآن الكريم

هل علمت يا حامل القرآن وقارئه ما حرمة هذا الكتاب؟ وما يلزمك  
من أدب عند قراءته؟

إليك ما يلي:

قال الحكيم الترمذى أبو عبد الله في "نوار الأصول":

- فمن حرمة القرآن ألا يمسه القارئ له إلا طاهرًا.
- ومن حرمة أن يقرأه وهو على طهارة.
- ومن حرمة أن يستاك ويتخلل، فيطيب فمه إذ هو طريقه.

قال يزيد بن أبي مالك: إن أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم.

- ومن حرمة أن يلبس نظيفاً كما يلبس للدخول على الأمير لأنه مناج ربه.
- ومن حرمة أن يستقبل القبلة لقراءته.

وكان "أبو العالية" إذا قرأ اعتم أى لبس العمامة ولبس وأرتدى واستقبل القبلة.

- ومن حرمة أن يتمضمض كلما تتخع.

روى شعبة عن أبي حمزة عن أبي عباس: أنه كان يكون بين يديه ماء إذا تتخع تمضمض ثم أخذ في الذكر وكان كلما تتخع تمضمض.

- ومن حرمة إذا تئأب أن يمسه عن القراءة، لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج له والتأؤب من الشيطان.

قال مجاهد:

إذا تئأبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة تعظيماً حتى يذهب تئأؤبك.

قال عكرمة:

يريد أن فى ذلك الفعل إجلالاً للقرآن.

- ومن حرمة أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم عند ابتدائه للقراءة ويقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم إن كان ابتداء قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ.
- ومن حرمة إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الأدميين من غير ضرورة.
- ومن حرمة أن يخلو بقراءته، حتى لا يقطع عليه أحد بكلام، فيخلطه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذي استعاذ منه في البدء.
- ومن حرمة أن يقرأه على تؤدة وترسيل وترتيل.
- ومن حرمة أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به.
- ومن حرمة أن يقف على آية "الوعد" فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله، وأن يقف على آية "الوعيد" فيستجير بالله منه.
- ومن حرمة أن يقف على أمثاله فيتمثلها وأن يلتمس عرائبه.
- ومن حرمة أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء، حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، فإن له بكل حرف عشر حسنات.
- ومن حرمة إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقت ربنا وبلغ رسولك، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط ثم يدعو بما يشاء من الدعاء.
- ومن حرمة إذا قرأه ألا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأ، فإنه روى عن رسول الله ﷺ أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً فأمره أن يقرأ على السور.
- ومن حرمة إذا وضع الصحيفة ألا يتركه منشوراً، وألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب: علماً كان أو غيره.

- ومن حرمته أن يضعه فى حجره إذا قرأه، أو على شئ بين يديه ولا يضعه بالأرض.
  - ومن حرمته ألا يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء.
- وعليه أن يتوقى النجاسات من المواضع التى توطأ.
- فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف الصالح يستشفى بغسالته.
- ومن حرمته ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب فإن ذلك جفاء عظيم ولكن يمحوها بالماء.
  - ومن حرمته ألا يخلى يوماً من أيامه من النظر فى المصحف ولو مرة.

وكان أبو موسى يقول:

إنى لأستحيى ألا أنظر كل يوم فى عهد ربي مرة!

- ومن حرمته أن يعطى عينيه حظهما منه فإن العين تؤدى إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن فى الصدر، فإذا قرأه عن ظهر قلب، فإنما يسمع أذنه، فتؤدى إلى النفس، فإذا نظر فى الخط. كانت العين والأذن قد اشتركتا فى الأداء وذلك حرى للأداء، وكان قد أخذت العين حظها كالأذن.

روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: "اعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا يا رسول الله: وما حظها من العبادة؟ قال: النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه".

وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظراً".

- ومن حرمة ألا يتأوله عندما يعرض له شئ من أمر الدنيا.  
والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك.  
"جئت على قدر يا موسى".

ومثل قوله تعالى:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

يقال هذا عند حضور الطعام.. وأشبه ذلك.

- ومن حرمة ألا يتلى منكوساً، كفعل معلمى اصبهان، يلتمس أحدهم بذلك أن يرى الحدق من نفسه والمهارة، فإن ذلك مخالفة.
- ومن حرمة ألا يقرأه بالحن الغناء، كلحون أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى، ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كنه زيغ.
- ومن حرمة أن يجلل تخطيطه إذا خطه.

عن أبى حكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة فمر على رضى الله عنه فنظر إلى كتابته فقال له: أجل قلمك، فأخذت القلم فقططته من طرفه قطاً، ثم كتبت وعلى رضى الله عنه قائم ينظر إلى كتابتى، فقال: هكذا، نوره كما نوره الله عز وجل.

- ومن حرمة ألا يجهر بعض القارئین على بعض فى القراءة.

وألا يمارى ولا يجادل فيه فى القراءات، ولا يقول لصاحبه ليس هكذا هو، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة من القرآن فيكون قد جحد كتاب الله.

- ومن حرمة ألا يقرأ فى الأسواق، ولا فى مواطن اللعط واللغو ومجمع السفهاء..

ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً؟!

هذا لمروره بنفسه، فكيف مرور القرآن الكريم تلاوة بين ظهرائي أهل اللغو ومجمع السفهاء؟!

- ومن حرمة ألا يتوسد المصحف، ولا يعتمد عليه، ولا يرمى به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله.
- ومن حرمة ألا يصغر المصحف:

روى الأعمش عن إبراهيم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: "لا يصغر المصحف"

قلت: روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً فى يد رجل فقال: من كتبه؟ قال: أنا. فضربه بالدرّة وقال: عظموا القرآن.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يقال: "مسيجد أو مصيحف".

- ومن حرمة ألا يخلط فيه ما ليس منه.
- ومن حرمة ألا يحلى بالترهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا.

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

"إذا زخرفتُم مساجدكم وحليتُم مصاحفكم فالدبار "الهلاك" عليكم".

- ومن حرمة ألا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل ببعض المساجد المحدثّة.
- ومن حرمة أن يفتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور.

ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات، لتلاً يكون في هيئة المهجور.

- ومن حرمة ألا يقال: سورة صغيرة، وكره أبو العالية أن يقال: سورة صغيرة أو كبيرة، وقال لمن قالها: أنت أصغر منها وأما القرآن فكله عظيم. ذكره مكي رحمه الله.

وبعد:

أعلمت يا أخى هذه الآداب، وتلك الحرمات، وإذا كنت علمتها فهل عملت بها؟

، فهلا عرفنا له حقه؟ وهل عملنا بقول رسول الله ﷺ:

"قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب؟"

وهلا عملنا بقوله: "اقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا".

فيا أخى: قم سلسل الدمع حزناً على هذا العمر الضائع، وقم مزق الضلوع كمداً على فساد القلوب الشائع، أما أن للقلوب أن تخشع؟

أما أن للنفوس أن تخضع؟

أما أن للعيون أن تدمع؟

أما أن للأذان أن تسمع؟

أما أن للأجساد أن تسجد وتركع؟

﴿ اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ اَنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ

اَلْحَقِّ ۙ﴾

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع،  
ودعاء لا يسمع،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## حاجة العالم إلى الإسلام وعدالته

قال الله تعالى يخاطب السيد الجليل محمداً ﷺ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

وقال صلوات الله وسلامه عليه متحدثاً بنعمة الله عليه:

"إنما أنا رحمة مهداة"

وقال فيلسوف الإسلام "إقبال"

إذا الإيمان ضاع فلا أمان      ولا دنيا لمن لم يحيى ديننا  
ومن رضى الحياة بغير دين      فقد جعل الفناء لها قرينا

لما أراد الله تعالى أن ينقذ البشرية من ظلمات الحياة الداكنة، بعدما طال الليل المدلهم، فأصبح الذئب راعياً، والخصم العنيد قاضياً، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وعمت الفوضى في جميع أرجاء الدنيا، وعربد الباطل في عرصاتها. بعد هذا كله: أذن الله للفجر أن يطلع، وللضباب أن ينقشع، فكانت بعثة السيد الجليل محمد صلى الله عليه وسلم الذى رفع راية العدل والطهر والتوحيد والإصلاح والإخلاص والمحبة، والذى أعلن فى سمع الزمان أن قوة التوحيد لا بد أن تمحو ظلمات الباطل، وأن عدالة الإسلام لا بد أن تزيد ظلم الجاهلية.

جاء ليطهر الأرض من أشنع جريمة عرفها التاريخ.. ألا وهى جريمة لظلم بأشمل معانيه إذ أنه الداء الوبيل الذى قوضت به الأمم العاتية، ملكت بسببه الجبابرة، ذلت بارتكابه أعناق القياصرة والأكاسرة.

جاء الرسول محمد ﷺ ليقرأ على البشرية هذه الآيات:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴾

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ۖ ﴾

وحذر الإسلام من عاقبة الظلم، فجاء في القرآن العظيم:

﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۖ وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ ﴾

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى ۖ أَهَلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۖ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْبِحُونَ ۖ ﴾

﴿ فَكَايِنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ۖ ﴾

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَالِىَ الْمَصِيرِ ۖ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ وَإِن تِنَّا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى ۖ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۖ ﴾

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ ﴾

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ ﴾

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

يا أخا الإسلام:

إحذر من المظلوم سهماً صائباً  
وإذا رميت من الزمان بشدة  
فاضرع لربك إنه أدنى لمن  
واعلم بأن دعاءه لا يحجب  
وأصابك الأمر الأشق الأصب  
يدعوه من حبل الوريد وأقرب

وما أجمل ما قالته امرأة فرعون المؤمنة حين اشتدت عليها وطأة الظلم:

﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

ما أشد حاجة الناس إلى العدالة الاجتماعية، ولن يوجد من يحققها أفضل من الإسلام الذي تردد آيات كتابه على سمع الدنيا هذا القول الكريم:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

﴿ وَاللَّوِ اسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ .

أجل! ما أشد حاجة البشرية إلى الإسلام الذي أذاع رسوله ﷺ هذا البيان عن ربه جل في علاه:

"يا عبادي: إنى حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرماً، فلا بظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي

إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني  
 أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا  
 نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم  
 كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً،  
 يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر  
 قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن  
 أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني  
 فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص  
 المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم،  
 ثم أوتيتكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا  
 يلومن إلا نفسه".

ولمكانة هذا الحديث وجلالة قدره قال أبو سعيد رضى الله عنه:  
 كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه. "رواه مسلم"

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه:

ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

نعم: ما من شك في أن المجتمع إذا تجرد من الظلم والأذى، فإن  
 السعادة والطمأنينة والأمن سترفرغ عليه بأجنحتها وتنتشر فوق ألويتها،  
 ولذا يقول رسول المحبة صلوات الله وسلامه عليه تبسمك في وجه أخيك  
 صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن  
 الطريق صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإفراغك  
 من دلوك في دلو أخيك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك  
 صدقة.

هذه خطوط لمجتمع الإسلام النظيف في عقيدته وفي معاملته  
 وعبادته وفي سلوكه:

نظيف اللسان، نظيف اليدين، نظيف العينين، نظيف السمع، نظيف  
 القلب.

لقد أوضح الرسول ﷺ في كلامه شناعة الظلم وقسوة ألمه على المظلوم فقال في حديث له رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم" رواه مسلم

وقد سئل النبي ﷺ فقيل له:

أى الإسلام خير؟

فقال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"

وسئل صلوات الله وسلامه عليه: أى المسلمين خير؟

فقال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده".

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾

ويحذر الرسول ﷺ من دعوة المظلوم فيقول في حديث له:

".. واتفق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب". "متفق عليه"

### شهادة الخصوم للقرآن الكريم

يقول الدكتور: "موريس الفرنسى"

"إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبنى البشر، وإنه كتاب لا ريب فيه"

ويقول: "هنرى دى كاسترى"

"إن القرآن ليستولى على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب، ولقد نزل على محمد دليلاً على صدق رسالته".

ويقول: "الكس لوازون"

"خلف محمد للعالم كتاباً هو آية وسجل الأخلاق، وهو كتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أو المكتشفات

الحديث مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية".

أما "واشنطن أرفنج" فيقول:  
"يحوى القرآن أسمى المبادئ وأكثرها فائدة وإخلاصاً".

ويقول "جوتة":  
"إن تعاليم القرآن الكريم عملية ومطابقة للحاجات البشرية".

ومما قاله "ليون":  
"حسب القرآن جلالاً ومجداً: أن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف - ولو بعض الشيء - من أسلوبه الذي لا يزال غنياً كأن عهده بالوجود أمس".

ويقول "جيمى متشيز" فى مقال له:  
"لعل القرآن هو أكثر الكتب التى تقرأ فى العالم وهو - بكل تأكيد - أيسرها حفظاً وأشدّها أثراً فى الحياة اليومية من يؤمن به، فليس طويلاً كالعهد القديم، وهو مكتوب بأسلوب رفيع أقرب إلى الشعر منه إلى النثر.

ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه وتزداد إيماناً وسمواً، وأوزانه ومقاطعته كثيراً ما قورنت بأصداء الطبيعة.

ومن الملاحظ أن القرآن يتسم بطابع عملى فيما يتعلق بالمعاملات بين الناس، وهذا التوفيق بين عبادة الله الواحد وبين التعاليم العملية، جعل القرآن كتاباً فريداً، ووحدة متماسكة".

هذا هو القرآن الكريم، معجزة نبي الإسلام.

وصدق الله العظيم الذى يقول عنه:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ  
وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### حق الرعية على الراعى فى الإسلام

لقد خاطب الله كل من ولى أمراً من أمور المسلمين بهذا الخطاب  
الصريح فى دلالته ،

فقال سبحانه :

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن  
رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت  
زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن  
رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته".

ومن أكبر الكبائر أن يغش الأمير رعيته ويكتمهم نصحه.

عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
"ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشى لرعيته  
إلا حرم الله عليه الجنة". "متفق عليه"

وجاء فى صحيح مسلم ما يؤكد هذا المعنى فقد قال ﷺ: "ما من أمير  
يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة".

لقد بلغ من عناية الإسلام بالرعية والعدل معها فى جميع شئونها أن  
الرسول ﷺ يتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بيتى هذا:

"اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فشق عليهِ، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فرفق به". رواه مسلم

صدقته يا سيدى يا رسول الله:

فأنت النعمة المسرة، والرحمة المهداة، وصدق الله تعالى إذ يقول فى شأنك:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

عن أبى مريم الأزرى رضى الله عنه أنه قال لمعاوية رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وختلهم وفقرهم: احتجب الله دون حاجته وختلته وفقره يوم القيامة".

فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس. رواه أبو داود والترمذى

أى عدالة هذه، وأى رحمة تلك؟

إنها عدالة الإسلام ورحمة نبي الإسلام الذى وصفه ربه بقوله:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْنَسَبِ لَآتَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

لقد كنت يا سيدى يا رسول الله مضرِب الأمثال فى العدل. حتى لقد اشتد غضبك عندما جاءك الحب بن الحب "أسامة بن زيد" يشفع فى امرأة شريفة فى قومها، وقد سرقت، قلت له يوماً وقد تعرف الغضب وجهك، وكنت لا تغضب إلا لله:

"أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؟"

والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

وحاشى لله أن تسرق فاطمة.

أليست ريحانه رسول الله ﷺ: رضاها من رضاك، وغضبها من غضبك؟

أليست فاطمة التى كانت تقوم على شئون بيتها: تأثرت يداها من الرحي، وتأثر نحرها من حمل قربة الماء، واغربت ثيابها من كثرة ما كنست بيبتها، وجاءك سبى فطلبت منك من يخدمها، فقلت لها بمنطقك السديد وعدالتك الباهرة:

"لا أعطيك وأدع أهل الصفة"

تعنى فقراء المسلمين الذين عرفوا بمكانهم فى مسجدك الشريف، وقلت لها يا فاطمة:

"أتقى الله وأدى فريضة ربك، واعملى يعمل أهلك، فإذا أويت إلى فراشك فقولى: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك، ثم قولى: لا إله إلا الله، فهذه المائة خير لك؟"

فماذا قالت؟

قالت بلسان الرضا ومنطق القناعة: رضيت بالله ورسوله!

ألست أنت الذى جعلت الإمام العادل فى سبعة يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

"سبعة يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال

إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه!" "متفق عليه"

أى شريعة وأى نظام بلغ من سمو الفكرة ونظافة المعاملة ما بلغه الإسلام؟

أعلمت مكانة المقسطين عند الله يوم القيامة؟

اقرأ فى ذلك ما رواه الإمام مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا". (رواه مسلم).

وبين الرسول خيار الأئمة شرارهم بياناً يقوم على ميزان عادل ومقياس دقيق فيقول:

عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
"خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم".

ويبشر رسول الله ﷺ: المقسطين والرحماء الأعفان بهذه البشارة الكريمة فيقول:

"أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قرى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال". (رواه مسلم)

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عملاق الإسلام. و فاروق هذه الأمة - يعلن فى سمع الزمان هذا المبدأ الخالد، بعدما تولى خلافة المسلمين بعد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيقول:

"أيها الناس: الضعيف فيكم قوى حتى أخذ الحق له، و لقوى فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه".

ويقول فى رسالته لأبى موسى الأشعري رضى الله عنه فى أمر القضاء:

"أسس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا بياس ضعيف من عدلك".

وها هو ذا "ضرار الصدائى" يصف أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه، وما انصف به من العدالة والإنصاف فى الرعية فيقول:

"كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبذته لعظمته. يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله ولا بياس الضعيف من عدله، كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه".

وهل ينس التاريخ هذا الموقف الإسلامى المشرف الذى وقفه الفاروق من "عمرو بن العاص" حين علم أن ابنه ضرب أحد أبناء الرعية، وقد قال كلمته الخالدة: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

وحسبك يا أخى أن تعلم أن الإسلام بينى عزائم المؤمنين لإقامة الحق والعدل مع الصديق والعدو، مع الفقير والغنى. ومن جليل ما يذكر فى هذا المجال ما جرى بين على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب، وقد تحاكم الأول أمام عمر، وكان الخصم يهودياً، وكان عمر- كعادته ينادى علياً قائلاً: يا أبا الحسن، فلما ناداه فى هذه المرة وهو يتحاكم أمامه كعادته، ظهر الغضب على وجه على، فظن عمر أن علياً يتبرم من وقوفه مع اليهودى على قدم المساواة، وعلى هو من تعلم حسباً ونسباً وإيماناً وصدقا...

قال عمر لعلى: أكرهت أن يكون خصمك يهودياً؟

فقال على رضى الله عنه: إنما غضبت لأنك لم تسو بينى وبين خصمى اليهودى، إذ ناديته باسمه وناديتنى بكنيتى.

إنهم فتية آمنوا بربهم فعرّفوا الهدى الإلهى والعدل الربانى حكاماً ومحكومين لأنهم سمعوا آيات الله تتلى عليهم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىًٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْتُمَا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

إن علياً يقف فى ساحة القضاء مع خصم يهودى يأتى عليه دينه أن يترك لفظاً تشم منه رائحة التعظيم له فيفضب، ويعد هذا تميراً فى موطن القضاء ورد الحقوق.

صلى عليك الله يا علم الهدى، يا من أرسلك الله رحمة للعالمين بخير مبادئ عرفتها البشرية جمعاء وخير قوانين للحكام والمحكومين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

### الإسلام شريعة الأخلاق

ما أشد حاجة البشرية إلى الإسلام، سيما فى عصر اجتاحت فيه التيارات المختلفة باسم العلم كل القيم، فاهتزت المعيير الخلقية، وانتكست المثل العليا، فأصبح الاتصال الجنسوى يسمى حباً، والفوضى والهمجية تسمى حرية، والقيم والأخلاق والمثل تسمى بالجمود والرجعية.

حتى قال بعض المفكرين الماديين: إن الأخلاق قيد لا معنى له!.

سبحانك هذا بهتان عظيم، وإفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون: فقد جاءوا ظلماً وزوراً.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

إن من الحقائق الثابتة أن الحياة بدون قيم: جحيم مستعر، ووباء لا يعرف الرحمة، يحصد الأخضر واليابس، ويحيل زهرة الحياة إلى هشيم تذروه الرياح.

من هنا جاء الإسلام ليعلم في سمع الدنيا على لسان رسوله الكريم محمد ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

"إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم".

"ليس شيء أثقل على الميزان من حسن الخلق".

"حسن الخلق يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل".

جاء الإسلام ليقيم في النفس البشرية هذه الممالك: اليقين، الرحمة، الصبر، الشكر، الرجاء، الخوف من الله، الزهد، التوكل، الرضا، المحبة...

وهل هناك في الوجود مجتمع أعظم من أمة تقوم على تلك المبادئ الثابتة، والأركان الوطيدة؟

اسمع إلى قول الحبيب المصطفى ﷺ:

"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".

ويزداد حرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه على سلامة المجتمع من أي أذى مهما كان ضئيلاً،

فتراه يقول: "من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفر أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء!"

وقف ملياً، خاشع البصر، متأمل الفكر، في هذه اللوحة النبوية البديعة التي رسمها سيد البشرية في قوله:  
 "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

فلو أوتيت سحر البيان الذي تخر له العمالقة، ومنحت ريشة من الجنة، وأعطيت قدرة التعبير على التصوير ما استطعت أن أخط سطرًا أمام هذا البيان المعجز، والروعة الرفيعة، من هذا الحديث الشريف الذي صور المجتمع الكامل المسلم المتراحم المتألف.. إنه كالجسم في خلاياها التي تكون الأنسجة، التي تكون الأعضاء، التي تكون الأجهزة، يعمل متعاونًا متكافلاً، لا شقاق ولا قطيعة، لا غيبة ولا نيمية، لا اعتداء ولا فجور، لا سخرية ولا تجسس، لا إثم ولا فسوق.

طهارة في اللسان، ونظافة في القلب، وبقاء في العين، وصفاء في العقل، وحصانة في السمع، وأمانة في اليد، وعفة في الفرج، وحفظ للرأس وما وعى، وصيانة للبطن وما حوى.

### محمد نبي الرحمة

أسمعت إلى هذه الرحمة النبوية بالأبناء، وكيف ذهل أحد الأعراب لرؤية هذا المنظر الرائع؟

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:

"قَبِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعِنْدَهُ الْأَقْرَبُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ وَقَالَ: "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ"

وعن عائشة رضى الله عنها قالت:

"قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم، فقال: لكننا والله لا نقبل، فقال رسول الله ﷺ أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟"

وتشمل الرحمة فى الإسلام جميع نواحي الحياة لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا رفرفت عليها بأجنتها وغمرتها بأنوارها..

اسمع إلى الرحمة فى العبادة، وعلى رأسها الصلاة:

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء".

وعن عائشة رضى الله عنها: "نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة بهم، فقالوا: إنك تواصل. قال: إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمنى ربي ويسقيني".

أى جعل فى قوة من أكل وشرب.

سيدي يا أبا القاسم يا رسول الله

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء  
يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء  
زانتك فى الخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء

تأخذنى الدهشة ويستولى علىّ العجب، وكأنى أقف فى وهرة  
سحيفة، وأرنو بناظرى إلى قمة شماء تتخلع الرقاب عند زراها.

إن تلك القمة الشماء هى شخص رسول الله ﷺ وقلبه المفعم بالرحمة!  
تأمل جليل رحمته وجميل عطفه فى هذا الحديث الذى رواه أبو قتادة  
الحارث بن ربيعى رضى الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ:

"إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبى  
فأتجاوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه". رواه البخارى

وعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمة بشىء، فإن من يطلبه من ذمته بشىء يدركه ثم يكب على وجهه فى نار جهنم". "رواه مسلم"

يا معشر المسلمين:

تعالوا لنلقى نظرة على جانب الرحمة بالمجتمع، وكيف رسم الشرع الكريم خطوطها العريضة، ومناهجها القويمة.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة".

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، وماله، ودمه، التقوى ها هنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم". "رواه الترمذى"

وهذا معيار الإيمان وميزان التصديق، يبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله:

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

وهذه صورة أخرى من صور النصيحة والنجدة. يوضحها سيد المرسلين فى قوله:

"انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً، أرايت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره". "رواه البخارى"

وينتقل الإسلام بعد ذلك فيفيض فى بيان حقوق المسلمين بعضهم على بعض..

يقول ﷺ: "حق المسلم على المسلم: رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس". وفى رواية لمسلم:

"حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه".

وبعد...

فهذا غيظ من فيض، وجزء من كل، وقطرة من بحر، وكفى بالإسلام رحمة أنه فتح أبواب الجنة بروضها وريحانها لرجل سقى قلباً كان قد اشتد به العطش حتى أخذ يلهث الثرى، فشكر الله له صنيعه، فغفر له، ويكفى الإسلام حزماً ونهياً عن القسوة أنه فتح أبواب جهنم لامرأة عذبت هرة حبستها، لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، فأدخلها الله النار بسبب ذلك.

وصدق الله تبارك وتعالى فى رسوله الأمين

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### ذكر الله تبارك وتعالى

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

قال أحد العلماء العارفين بالله: إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، فقال له أحد الجالسين: فكيف إذا ذكر الله؟

قال العالم العارف: إذا ذكر الله نزلت الطمأنينة

أو ما قرأت قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٥٠ ﴾

أيها المسلم الكريم:

ليس الذكر كلمات جوفاء يرددها اللسان دون حضور القلب والعقل، فإنه إذا كان كذلك كان ذكراً مبتوراً.

ولذلك فإن الله جل شأنه قرن بين الذكر والتفكير فقال:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَمَّا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٥١ ﴾

وقد رأى الإمام على كرم الله وجهه رجلاً يستغفر الله بصورة خيالية من الخشوع واستحضار الفكر، فقال له: يا هذا إن استغفارك هذا في حاجة إلى استغفار.

### حقيقة الذكر:

إن الذكر ليس قاصراً على اللسان وحده بل هو ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح الله تبارك وتعالى، وتزبيحه، وحمده، والشاء عليه، ووصفه بصفات الكمال، ونعوت الجلال والكمال.

ولذا قالوا: إن الذكر على سبعة أنحاء:

- فذكر العين البكاء.
- وذكر الأذنين الإصغاء.

- وذكر اللسان الشتاء.
- وذكر اليدين العطاء.
- وذكر البدن الوفاء.
- وذكر القلب التسليم والرضا.
- وذكر الروح الخوف والرجاء.

و قد أمر الله تعالى بالإكثار منه فقال:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿

وأخبر أن من يذكر من يذكره، فقال جل شأنه:

﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

وقال في الحديث القدسي الذي رواه البخارى ومسلم:

"أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى. فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منه، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً. وإن أتانى يمشى أتيته هرولة".

وقد اختص سبحانه أهل الذكر بالتفرد والسبق، فقال رسول الله ﷺ:

"سبق المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات". (رواه مسلم)

وأنهم هم الأحياء على الحقيقة..

فعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

"مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت" (رواه البخارى).

والذكر : رأس الأعمال الصالحة، من وفق له فقد عطى منشور  
الولاية، ولهذا كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

ويوصى الرجل الذى قال له: إن شرائع الإسلام قد كثرت على،  
فأخبرنى بشيء أشبهت به فيقول له:  
"لا يزال فوك - فمك - رطباً من ذكر الله".

ويقول لأصحابه:

"ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها فى  
درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا  
عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول  
الله. قال: ذكر الله". (رواه الترمذى وأحمد والحاكم)

والذكر سبيل النجاة.. فعن معاذ رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:  
"ما عمل آدمى عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز  
وجل". (رواه أحمد)

وقال أيضاً:

"إن ما تذكرون من جلاله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد:  
يتعاطفن حول العرش، لمن دوى كدوى النحل، يذكرون لصاحبهن،  
أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به؟"

### فضل الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى:

أرشد الله عباده إلى الإكثار من ذكره. كذلك جاءت الأحاديث  
النبوية الشريفة مبينة ما أعده الله للذاكرين من أجر عظيم، وفضل  
عميم، جاء فى الحديث القدسى قوله تعالى:

"لا يذكرنى عبد فى نفسه، إلا ذكرته فى ملاً من ملائكتى، ولا  
يذكرنى فى ملاً إلا ذكرته فى الملاً الأعلى".

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ:

"إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفثاه". (رواه ابن ماجه)

والمعنى هنا: دليل التكريم الإلهي، والرفعة الربانية للعبد الذاكر، وكفى بمعية الله شرفاً وقدرًا.

وها هو ذا معاذ بن جبل رضى الله عنه يحدثنا فيقول:  
إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أى الأعمال أحب إلى الله؟

قال: "أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله".

وتعالى معى يا أخى المسلم لنطوف هذه الطوفة المباركة، ونلقى بنظرة على رجل رآه سيد المرسلين ﷺ ليلة المعراج وقد نال من الرفعة المكانة القصوى.

يقول ﷺ:

"مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش، قلت من هذا؟ أهذا ملك؟ قيل: لا. قلت: نبي؟ قيل: لا قلت من هو؟ قيل: هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه". (رواه ابن أبى الدنيا)

وقد بلغ من مكانة الذكر عند الله تبارك وتعالى أن قرنه بأصول الدين، فجمع بينه وبين الوحدانية والصلاة والصوم والصدقة.

جاء فى حديث جامع وشامل أن رسول الله ﷺ قال:

"إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فكانه أبطأ بهن، فأتاه عيسى فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمربن إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم فقال: يا أخى لا تفعل فإنى أخاف إن سبقتنى بهن أن يخسف بى أو أعذب. قال: فجمع بنى إسرائيل بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم

فقال: إن الله أوحى إلىّ بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن:

أولهن: لا تشركوا بالله شيئاً، فإن مثل من أشرك بالله كمثّل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه داراً فقال اعمل وارفع إلىّ، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ فإن الله خلقكم ورزقكم، فلا تشركوا به شيئاً. وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام، ومثّل ذلك كمثّل رجل فى عصابة معه صرة مسك كلهم يحب أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، ومثّل ذلك كمثّل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدى نفسى منكم، وجعل يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه، وأمركم بذكر الله كثيراً، ومثّل ذلك كمثّل رجل طلبه العدو سراعاً فى أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد: لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله". (رواه الترمذى)

أرأيت إلى البراعة فى التشبيه، وإلى علو الطبقة فى التصوير، وكيف ضرب الحديث لكل ركن من هذه الأركان صورة مجسمة محددة المعالم، حتى وصل إلى الحصن الحصين والركن الركين، وهو ذكر الله؟

لقد جاء فى هذا الحديث وصف الذكر على أنه حصن.

وحصن من أى شىء؟ من الشيطان. وهل هناك حصن أقوى من هذا الذى يقى صاحبه ويحميه من كيد الشيطان: إنسياً كان أو جنياً؟

قال سبحانه فى شأن المؤمنين:

ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ۗ

وليس هناك شك في أن العبد الذي يستحضر عظمة الله في قلبه ويراقب هيمنة سلطانه الأعلى على نفسه لاشك أنه عبد محفوظ بالعناية، قال تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ  
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ .

فإياك يا آخى والغفلة عن ذكر الله، واحذر أن تفوتك ساعة تكون فيها غافلاً عن ذكره تبارك وتعالى.

واعلم بأن الذكر والشكر قرينان متلازمان.

جاء في الحديث القدسي الجليل:

"يا ابن آدم: إنك إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني"

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### فضل مجالس الذكر

رغب الإسلام في الاجتماع على ذكر الله في صورة تليق بجلال الذكر، ولا تخرج عن حدود ما رسم الشرع الحكيم في قوله تعالى:

﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ  
بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

ومجالس الذكر تغشاهما الرحمة، وتنزل بأصحابها السكينة، وتحف بها الملائكة المكرمون.

جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال:

"إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإن وجدوا قوماً يذكرون الله تتادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفظونهم

بأجنتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم. وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي؟ قال يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك. قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذاً، وأكثر لك تسبيحاً قال فيقول: فما يسألوني؟

قال يقولون: يسألونك الجنة، قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فممن يتعوذون؟ قال يقولون: يتعوذون من النار. قال يقولون وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة، قال فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك، من الملائكة فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشتمى بهم جليسههم". (رواه البخاري)

هذا وقد خرج النبي ﷺ ذات يوم على حلقة من أصحابه فقال: "ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا. قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إنى لم استخلفكم تهمة لكم، ولكن أتانى جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة". (رواه مسلم)

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم. فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر". (رواه أحمد)

لقد بلغ من مكانة الذكر في قلوبهم أنهم كانوا يجعلونه بمثابة الإيمان، وينزلونه منزلة الإيمان.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول ﷺ قال: تعال نؤمن بربنا ساعة.

فقالها ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: ألا ترى إلى ابن رواحة؟ يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال ﷺ:

"يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة".  
(رواه أحمد).

وعنه أيضاً رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:  
"ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات" (رواه أحمد).

وروى عن أنس رضى الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال:  
"إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم، حفوا بهم، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء، إلى رب العزة تبارك وتعالى، فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد ﷺ يسألونك لآخرتهم ودينهم، فيقول الله تبارك وتعالى: غشوهم رحمتي، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم". (رواه البزار)

وقد مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن رواحة، وهو يذكر أصحابه، فقال رسول الله ﷺ:

"أما إنكم الملائكة الذين أمرنى الله أن أصبر نفسى معكم، ثم تلا هذه الآية:

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطَّعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝﴾

أما إن ما جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة، إن سبحوا الله تعالى سبحوه، وإن حمدوا الله حمدوه، وإن كبروا الله كبروه، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه، وهو أعلم بهم، فيقولون: يا ربنا عبادك سبحوك فسبحنا، وكبروك فكبرنا، وحمدوك فحمدنا، فيقول ربنا جل جلاله: يا ملائكتي أشهدكم أني قد غفرت لهم.

### أدب الذكر:

أما وقد علمنا فضل مجالس الذكر والاجتماع عليه، فإنه ينبغي أن تعلم أموراً خاصة بمراعاة الذكر:

المقصود من الذكر: تزكية الأنفس، وتطهير لقلوب، وإيقاظ الضمائر، وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۝﴾

أى أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة.

وذلك أن الذاكر حين يفتح لربه جنانه، ويلهج بذكره لسانه، يمدد الله بنوره، فيزداد إيماناً إلى إيمانه، ويقيناً إلى يقينه، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝﴾

وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى، وأخذ سبيله إليه، دون أن تلفتة عنه نوازع الهوى، ولا دوافع الشهوة..

ومن ثم عظم أمر الذكر، وجل خطره فى حياة الإنسان، ومن غير المعقول أن تتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ يلفظه الإنسان بلسانه. فإن حركة اللسان قليلة الجدوى، ما لم تكن مواطئة القلب وموافقة له.

وقد أرشد الله تبارك وتعالى إلى الأدب الذى ينبغى أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال:

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾.

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أنه يستحب أن يكون سرًا لا ترتفع به الأصوات.

وقد سمع رسول الله ﷺ جماعة من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء فى بعض الأسفار فقال:

"يا أيها الناس: أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا. إن الذى تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته".

كما تشير تلك الآية أيضًا إلى حالة الرغبة والرغبة التى يحسن بالإنسان أن يتصف بها عن الذكر.

كذلك من الأدب:

أن يكون الذاكر نظيف الثوب، طاهر البدن، طيب الرائحة، فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطًا، والأفضل أن يستقبل القبلة فإن خير المجالس ما استقبل به القبلة.

**فضل من قال لا إله إلا الله مخلصًا**

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً. إلا فتحت له أبواب السماء، حتى يفضى إلى العرش، ما اجتبت الكبائر".

وعنه أنه قال:

"جددوا إيمانكم. قيل يا رسول الله: وكيف تجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله". (رواه أحمد)

وعن جابر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"أفضل الذكر: لا إله إلا الله. وأفضل الدعاء الحمد لله".

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير - فى يوم مائة مرة - كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يوم ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك".

(رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه، وزاد مسلم

والترمذى:

"ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياها، ولو كانت مثل زبد البحر"

وعنه أيضاً أنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:

"لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحب إلى مما طلعت عليه الشمس". (رواه مسلم والترمذى)

وعن عبد الله رضى الله عنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"لقيت أبراهيم ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

رواه الترمذى والطبرانى، وزاد: "ولا حول ولا قوة إلا بالله".

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين، ممن قالوا: لا إله إلا الله مخلصين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

### الذكر المضاعف وجوامعه

عن جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها: أن النبي ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد ذلك أن أضحى وهي جالسة. فقال:

"ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم. قال النبي ﷺ: قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله ويحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته" (رواه مسلم وأبو داود)

ودخل رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى "أو حصى" تسبح الله به فقال:

"أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا، أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك". (رواه أصحاب السنن والحاكم).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها (ومعنى عضلت: أى اشتدت وعظمت) فصعدا إلى السماء فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها؟ قال الله - وهو أعلم بما قال عبده- ما قال عبدى؟ قالوا يا رب أنه قد قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فقال الله لهما: أكتبها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها". (رواه أحمد وابن ماجه).

## فضل الاستغفار:

جاء رجل إلى الحسن البصرى رضى الله عنه، فشكى له قلة المطر، فقال له: استغفر الله، وجاء آخر فشكى له قلة المال، فقال له: استغفر الله، وجاء ثالث فشكى له قلة البنين، فقال له: استغفر الله، وشكى إليه رابع قلة الإنبات، فقال له: استغفر الله، قالوا: يا تقي الدين: كلما جاءك شك قلت له: استغفر الله؟ قال لهم: نعم، أو ما قرأتم قوله تعالى:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴿١٠٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَتَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٠٣﴾

عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"يقول الله تعالى يا ابن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة".

(رواه الترمذى).

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:

"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب" (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم).

## أذكار الصباح والمساء

أذكار الصباح يبدأ وقتها من الفجر إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء ما بين العصر والغروب:

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله ويحمده مائة مرة لم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه"

وروى أيضاً عن ابن مسعود قال: "كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خيراً ما في هذه الليلة وخيراً ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر. رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر.

وإذا أصبح قال ذلك أيضاً:  
أصبحنا وأصبح الملك لله. إلى آخره.

وروى أبو داود عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ قل. قلت يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تصبح وحين تمسى ثلاث مرات تكفك من كل شيء".

(قال الترمذى: حديث حسن صحيح)

وروى أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه فيقول: "إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور".

وإذا أمسى فليقل:  
اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير".

وفى صحيح البخارى عن شداد بن أوسى عن النبي ﷺ قال: "سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة".

وفى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه:

أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ مُرِنِي بِشَيْءٍ  
أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ:

"قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ  
شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ  
الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوءًا عَلَى أَنْفُسِنَا، أَوْ نَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ.  
قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، وَإِذَا أَخَذْتُ مَضْجَعَكَ".

وفى الترمذى أيضاً عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال  
رسول الله ﷺ:

"مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي  
لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ".

أَيُّ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ.

وفيه أيضاً عن ثوبان وغيره: أن رسول الله ﷺ قال:

"مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وَإِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،  
وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا: كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرْضِيَهُ".

وفى الترمذى أيضاً عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

"مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ وَأَشْهَدُكَ وَأَشْهَدُ  
حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَأَنْبِيَاءَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنْكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدًا وَرَسُولًا ﷺ".

أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ،  
وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَعَةٍ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ  
اللَّهُ مِنَ النَّارِ".

وفى سنن أبي داود عن عبد الله بن غنم أن رسول الله ﷺ قال:

"من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي، فقد أدى شكر ليلته".

وفى السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر قال:

لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح:  
"اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي. اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي. اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي".

قال وكيع: يعنى الخسف.

وروى عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك. فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبه حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح:  
"اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم".

وفى بعض الروايات أنه قال:

"أنهضوا بنا، فقام، وقاموا معه، فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصيبه شيء".

اللهم اجعلنا من الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله تعالى المجلد الأول ويليهِ إن شاء الله المجلد الثاني مبدوءاً بالعنوان التالي: "أذكار النوم".

## أذكار النوم

روى البخارى عن حذيفة وأبى ذر رضى الله عنهما قالا : كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال:

"باسمك اللهم أحيا وأموت" وإذا استيقظ قال: "الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور"

وكان من هديه ﷺ أن يضع يده اليمنى تحت خده ويقول :  
"اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك - ثلاثاً". ويقول: "اللهم رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شىء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر"

وكان يقول:

"الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى ولا مؤوى".

وكان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما:

"قل هو الله أحد" و"قل أعوذ برب الفلق" و"قل أعوذ برب الناس" ثم مسح بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده الشريف - يفعل ذلك ثلاث مرات".

وأرشد ﷺ أن يقول المضطجع:

"باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه. إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"

وقال ﷺ لفاطمة:

"سبحى الله ثلاثاً وثلاثين، واحمديه ثلاثاً وثلاثين، وكبيره أربعاً وثلاثين".

وقال للبراء:

"إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت، ثم قال: فإن مت، مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول".

**دعاء الاستيقاظ من النوم**

أرشد رسول الله ﷺ المستيقظ من نومه أن يقول:

"الحمد لله الذى رد علىّ روحى، وعافانى فى جسدى، وأذن لى بذكره"

وكان إذا استيقظ قال:

"لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبى، وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علماً، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتني، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب".

وصح أنه ﷺ قال:

"من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته".

**الذكر عند الفرع والأرق والوحشة**

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره".

قال: وكان ابن عمر يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك وعلقها في عنقه.

وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أصابه أرق، فقال رسول الله ﷺ:

"ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت؟ قل: اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط عليّ أحد منهم، أو أن يبغى عليّ، عزّ جارُك، وجلّ ثاؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت".

## المؤمنون الصادقون

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٦﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

ما أجمل هذه الصفات التي من أجلها استحق هؤلاء هذه الأحكام!

فما أصدق الله إذا قال! وما أعدلُه إذا حكم!

إنه - جل شأنه - وصف هؤلاء

أولاً: بأنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم من عظمته وهيئته، ونزلت فيها السكينة والطمأنينة لعفوه ورحمته وبره وكرمه.

قال جل شأنه:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

ووصفهم ثانياً: بقوله عز من قائل:

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾

ذلك لان الإيمان يزيد بالطاعة. وما من شك في أن شجرة الإيمان طيبة الثمر، كريمة العطاء، أصلها ثابت وفرعها في السماء، كلما تعهدتها بالأعمال الصالحة ازدادت نماء وكرما.. إذ أنها بالأعمال الطيبة الصالحة: ﴿ تُوْتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

ووصفها مولانا تبارك وتعالى ثالثاً بقوله:

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

أى لا يسلمون أمورهم ويفوضون شئونهم- بعد الأخذ فى الأسباب- إلا على الواحد القهار، جل شأنه، فهم إذا سألوا لا يسألون إلا الله، وإذا استعانوا فلا يستعينوا إلا بالله، وإذا توكلوا فلا يتوكلون إلا على الله.

ووصفهم مولانا رابعاً بقوله:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾.

أى: يؤدونها أداءً مستقيماً لا عوجاً فيه ولا نقص، وإنما كمال وخشوع وجلال.

قالت أم المؤمنين عائشة رضی اللہ عنہا وهى تصف صلاة رسول الله

ﷺ:

"كان يحدثنا ونحدثه، ويكلمنا ونكلمه، فإذا حضرت الصلاة كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه".

وقد سئل "حاتم الأصم" رضی اللہ عنہ: كيف أنت إذا دخلت الصلاة؟ قال:

إذا أردت الدخول فى الصلاة، توضأت، فأحسنست الوضوء، ثم إذا توجهت للوقوف بين يدي الله: جعلت كأن الكعبة أمامي، والموت ورائي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، والصراط المستقيم تحت قدمي، والله مطلع على، ثم أتم ركوعها وسجودها، فإذا سلمت، لا أدري أقبلها الله أم ردها على؟

يرحم الله هؤلاء الأبرار الأطهار، الأتقياء، الأصفياء الأخيار، إنهم عرفوا الله فأحبهم الله، فرضى عنهم، ورضوا عنه.

كانوا في حالة السلم: كما وصفهم مولانا جل شأنه في قوله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٦٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٦٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٨﴾

وكانوا في حالة الحرب: كما قال الله تعالى في شأنهم:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٠٦﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴿١٠٧﴾

ووصف الله تعالى المؤمنين الصادقين خامسًا بقوله:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٠٨﴾

أى أنهم علموا أن نعم الله التي يسديها ويسوقها إلى عباده لا بدلها من تزكية تتطهر بها؛ فالمال رزق وفيه نفقة، وكذلك العلم والصحة والذكاء، كل منهم رزق وفيه نفقة،

فنفقة العلم: أن ينفع به الناس ويخرجهم بالهداية من الظلمات إلى النور.

ونفقة المال: أن يعين به الفقراء والمساكين ويغيث ذا الحاجة الملهوف، ويأخذ بيد الضعيف، ويواسى البؤساء.

ونفقة الصحة: أن يستعملها في الخير فيشارك الضعفاء، ويزيل النكبات عن المنكوبين.

ونفقة الذكاء: أن يستغله في الخير والبناء، لا في الهدم والتخريب وظلم العباد.

هذه خمس صفات، استحقوا بمقتضاها أن يحكم لهم بأربعة أحكام:

(١) أولئك هم المؤمنون حقا.

(٢) لهم درجات عند ربهم.

(٣) ومغفرة.

(٤) وورق كريم.

فرضى الله عنهم، ورضوا عنه، وجعلنا منهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### خفف الحمل فإن العقبة كنود

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ؕ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠١﴾

من هؤلاء الرجال الصفة الذين اتقوا الله حق تقاته وأعدوا الزاد لليلة صباحها يوم القيامة: العارف بالله "أبو حازم" الذي جعل نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .

فما قصته مع أمير المؤمنين سلمان بن عبد الملك؟

لنسمع إلى حقائق التاريخ تحدثنا بلسان اليقين ومنطق الحق المبين:

دخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافة ودار  
الحديث التالي:

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟

قال أبو حازم: لأنكم عمرتم دنياكم وخرتكم آخرتكم، فأنتم  
تكرهون النقل من العمران إلى الخراب.

قال سليمان: فأخبرني كيف القوم على الله؟

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين، أما المحسن فيقدم على الله كالغائب  
يقدم على أهله، وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الآبق لسيدته يأتي  
مولاه خائفاً حزينا.

قال سليمان: فأى الأعمال أفضل؟

قال أبو حازم: دعاء الملهوف لمن أحسن إليه.

قال سليمان: فأى الصدقة أوفى؟

قال أبو حازم: أن لا تعلم يسراه ما أنفقت يمينه.

قال سليمان: فأى القول أفضل؟

قال أبو حازم: كلمة حق عند من يخاف.

قال سليمان: فأى الناس أعدل؟

قال أبو حازم: من عمل بطاعة الله و دلّ الناس عليها.

قال سليمان: أى الناس أجهل؟

قال أبو حازم: من باع آخرته بدنياه.

قال سليمان: عظمى وأوجز!

قال أبو حازم: نزه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث  
أمرك فبكى الأمير. فقال رجل من جلسائه: أبكيت أمير المؤمنين.

فقال أبو حازم: قد أخذ الله الميثاق على الأنبياء لتبيننه للناس ولا تكتمونه ثم خرج، فبعث إليه سليمان بشيء من الحلى والجواهر فردده وقال: لا أرضاه لكم فكيف آخذه منكم؟

يرحمك الله يا أبا حازم، يا من وقفت موقف الأبطال أمام أبواب الدنيا ومتاعها، فكنت كما كان أمير المؤمنين على فى وصفه للدنيا:

قال معاوية بن أبى سفيان "لضرار الصدائى" وكان من أصحاب الإمام على:

يا ضرار: صف لى علياً.

قال ضرار: اعفى يا أمير المؤمنين.

قال معاوية: لتصفنه.

قال ضرار: أما إذ لابد من وصفه: فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطبق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد الله لقدراً أيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، متمثلاً فى محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تملل السليم، ويبكى بكاء الحزين، يقول يا دنيا: غررى غيرى. إلى تعرّضت؟ أم إلى تشوّقت؟

هيهات هيهات! لقد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال:

يرحم الله أبا الحسن لقد كان كذلك، فكيف حُزنك عليه يا  
ضرار؟

قال ضرار: حُزن من ذُبِح وحيدها في حجرها.

### حزب الله

يرحم الله هؤلاء الناس. أولئك حزب الله الذين قال فيهم مولانا:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى  
الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ  
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

نعم إنهم حزب الله الذين وصف الله شدة إيمانهم بقوله:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ  
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ  
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

وإذا كان هؤلاء هم حزب الله فإن من حاد عن طريقهم وتنكب عن  
جادتهم فقد دخل في حزب الشيطان لأن القسمة ثنائية، لا تحتمل ثالثاً،  
فماذا بعد الحق إلا الضلال.

﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

وإذا كان القرآن الكريم بين لنا بياناً تفصيلاً موصفات حزب الله، فذكر أن أول صفاتهم أنهم قوم يحبهم الله ويحبونه.

الثانية: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

الثالثة: يجاهدون في سبيل الله.

الرابعة: لا يخافون لومة لائم.

الخامسة: يتولون الله ورسوله والذين آمنوا.

السادسة: لا يوادون من حاد الله ورسوله مهما كن من صلات النسب ولو كانت أبوة أو بنوة أو أخوة أو عشيرة.

هذه أوصافهم والأسس التي مشوا عليها والمبادئ التي تمسكوا بها لا تفريط في حرف منها.

من أجل ذلك كانوا جديرين بأن يحكم الله لهم بهذه الأحكام المنجية من خزي الدنيا وعذاب الآخرة:

أولاً: فإن حزب الله هم الغالبون.

ثانياً: كتب في قلوبهم الإيمان.

ثالثاً: أيدهم بروح منه.

رابعاً: يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

خامساً: رضى الله عنهم ورضوا عنه.

سادساً: شرفهم بأن جعلهم حزبه، وأضافهم لذاته إضافة تشریف وتكريم.

سابعاً: حكم لهم بالفلاح حيث قال:

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

من هؤلاء؟

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٍ أَخْرَجَ شَطْءَهُ ۖ فَتَازَرَهُ ۖ فَاسْتَعَلَّظَ ۖ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾

أين تلقوا تعاليمهم؟ وفى أى الجامعات تخرج هؤلاء؟ وعلى يد من تتلمذوا؟ وعلى مناهج من درسوا وسلكوا؟

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ۗ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۗ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۗ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۗ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَبُضِرَ اللَّهُ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۖ﴾

أين تربوا؟

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٦٧﴾ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۖ﴾

ندعوا الله أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء  
همنا وذهاب حزننا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## سياحة مباركة مع الصيام

يسرنا ويثلج صدورنا أن نقوم الآن بزيارة لجامعة العبادات الإسلامية نتفقد فيها أنواع العبادات والأحكام التي تتعلق بها كما أننا سنخص كلية الصيام بوقفه طويلة احتفاء بالشهر العظيم الذي أنزل الله فيه خير كتاب هو القرآن في خير بلد هي مكة في خير جبل هو حراء في خير شهر هو رمضان مع خير ملك هو جبريل من أعظم مكان هو اللوح المحفوظ لخير أمة هي أمة الإسلام بأفضل أحكام "هدى للمتقين" بأعدل شريعة هي شريعة الحق في خير ليلة هي ليلة القدر على خير نبي هو محمد ﷺ وجامعة الإسلام مكتوب على بابها قوله جل شأنه،

﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

وأراها مكونة من خمس كليات أولها كلية التوحيد وقد كتب على بابها قوله جل شأنه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد  
يا حي يا قيوم أنت المرتجى وإلى علاك عنا الجبين الساجد

وثانيها كلية الصلاة وعلى بابها كتب

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾

وثالثها كلية الزكاة وعلى بابها كتب:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

ورابعتها كلية الصيام وعلى بابها كتب:

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

وخامستها كلية الحج وعلى بابها كتب

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

إننا اليوم على موعد بقاء مع زيارة لكلية الصيام تبعد أيام قلائل يطالعنا أعظم الشهور يطالعنا هلال مبارك، لذا يجب على الأمة الإسلامية أن تستقبله بما يليق به من جلال مهيب وجمال وكمال فرمضان عندما عظمه ربه نسبة إلى إنزال أعظم الكتب.

فلم يقل شهر رمضان الذي يحتفل فيه بذكرى أى عظيم من عظماء الأرض أو بمولد ملك أو فاتح أو قيصر أو كسرى أو امبراطور إنما قال ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فليس رمضان شهر لهو أو طرب أو احتساء الكؤوس المترعة واستمتاع بالمأكول الهنيء.

إنما رمضان قرآن وصوم ونصر وفتح وبر وقدرتك مواقفه وهذا سر عظمته.

جرت تقاليد الدول عندما يزورها حاكم من دولة أخرى تقام له المراسيم على مختلف المستويات رسمية وشعبية تضاء الثريات وتنصب السرادقات وتزدحم الطرقات بأقواس النصر فماذا أعدنا لضيء الرحمن جل جلاله؟

ليس رمضان فى حاجة إلى تلك المظاهر إنما رمضان مدرسة لها احترامها وجلالها لا يليق به ما عليه المسلمون من لعب ولهو ومجاهرة

بالمعصية لله فى وضع النهار وإجماع العلماء منعقد على من أفطر يوماً واحداً فى رمضان بغير عذر كان شراً عند الله من الزانى وشارب الخمر فما بالناس فى نهار رمضان لا نخشى الواحد الديان؟

فمجال الطعام مزدحمة بالآكلين ومجال الشراب فى أكبر الميادين مزدحمة بالشاربين والمصالح والمكاتب تحتسى فيها أقذاح الشراب الساخن والبارد أضف إلى ذلك ما يسمع من الألفاظ من سب وشتائم.

كل هذا يجرى فى نهار رمضان.

والإمام ابن حزم رضى الله عنه يقول:

ذنبان لم أجد أعظم منهما بعد الشرك بالله: عبد أحر الصلاة حتى خرج وقتها وعبد أفطر يوماً فى رمضان بغير رخصة رخصها الله له.

ولأحب أن أفيض فى تلك المآسى فإنها كثيرة ونحن على أبواب شهر كان سيد المرسلين يحتفى ويبشر المؤمنين بقدمه.

اسمع معى إلى هذا الحشد المبارك والكواكب الدرية من أحاديث خير البرية، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم. إنى صائم. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه".

(رواه البخاري واللفظ لمسلم)، وفى رواية للبخارى:

"يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها".

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"الأعمال عند الله عز وجل سبعة: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب

عامله إلا الله عز وجل؛ فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبدُه مخلصاً له لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار، ومن عمل سيئة جزى بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جوزى مثلها، ومن عمل حسنة جوزى عشرها، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته الدرهم بسبعمئة والدينار بسبعمئة، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل".

(رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى)

هنيئاً لك أيها الصائم بتلك البشرية التى قال فيها المعصوم ﷺ: "إن فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد".

(رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى)

واعلم أيها المسلم أن الصيام نداء فطرى من داخل جسمك يصيح بك: صم فإن الصيام صحة.

يقول ﷺ: "أغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا".

(رواه الطبرانى فى الأوسط ورواه ثقات)

وقد ثبت أن الصيام يفيد فى حالات كثيرة فهو العلاج الوحيد فى أحوال أخرى؛ فهو أهم علاج للوقاية من أمراض الاضطرابات فى الأمعاء المصحوبة بتخمير فى المواد الزلالية والنشوية وهنا ينجح الصيام وخصوصاً عدم شرب الماء بين الأكلتين وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة، كما فى صيام رمضان، وممكن أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر وهذه الطريقة هى أنجح طريقة لتطهير الأمعاء، كما يستعمل الصيام فى علاج زيادة الضغط الذاتى، ويستعمل فى علاج البول السكرى والتهاب الكلى الحاد والمزمن، وفى علاج أمراض القلب المصحوبة بتورم وفى علاج التهاب المفاصل المزمن خصوصاً إذا كانت مصحوبة بسمنة.

أسأل الله أن يجعل هذا الضيف الكريم شاهداً لنا لا علينا.

## الصيام بين الإيمان والتقوى

ما أعظم القرآن وما أبلغ لفضله وما أجلّ معانيه، إنه معجزة الله في الكلمة الناطقة كما أن الكون معجزته في الآيات المنظورة، فإذا كان الكون قرآناً صامتاً فإن القرآن كون ناطق، وإذا كان ذلك كذلك فإن المؤمن قرآن يمشى بين الناس.

نعم ما أعجب هذا الكتاب الكريم، أنه لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط بينهما ناظم، سألت نفسى وأنا أطالع مشهد الصيام فى سورة البقرة فقلت: ما السر فى وضع الصيام بين الإيمان والتقوى فى قوله تبارك اسمه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وعلمت بعد إعمال فكر وروية أننا بين ثلاث مسائل: إيمان وصيام وتقوى فما الذى سلك الثلاثة فى عقد واحد؟ وما الذى جمع بينها وألفاظ القرآن فى وزنها ووضعها دقيقة بل هى أشد دقة من ميزان الذهب.

﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾

الإيمان تصديق قلبى بكل ما جاء به رسول الله ﷺ مع الرضا والتسليم..

ما محله؟ محله القلب.

قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾

﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

قال ﷺ:

"ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل".

إذن فالإيمان شجرة طيبة أصلها ثابت في القلب وفرعها باسق في جو السماء.

هذا هو الإيمان: تصديق محله القلب ولا يعلم ما في القلب إلا الله لأن دولة القلوب مفاتيحها بيد الله تعالى.

**عبادة سرية:**

ولنتقل بعد ذلك إلى المسألة الثانية وهي الصيام

فما الصيام؟

إنه الإمسال عن المفطرات.

وما الإمساك عنها إلا عبادة سرية لا يطلع عليها إلا الله، فالإنسان يستطيع أن يأكل ملء بطنه ويشرب ما شاء بعيداً عن عيون الرقباء، فإذا رأى الناس في نهار رمضان شكاً إليهم ما يعانیه من شدة الظمأ وما يكابده من مرارة الجوع قائلًا: ما أطول النهار وما أشد الحرارة، ناسياً أو متناسياً أن الصيام عبادة لا تراها أعين العباد إنما الذى يطلع عليها هو من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ومن ثم فإن الله شرف هذه العبادة فنسبها إليه سبحانه في قوله في الحديث القدسي الجليل:

"كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزي به".

فيا هذا:

اللَّهُ يَدْرِي كُلَّ مَا تَضْمُرُ      يعلم ما تخفى وما تظهر  
وإن خدعت الناس لم تستطع      خداع من يطوى ومن ينشر

ننتقل بعد ذلك إلى المسألة الثالثة وهي

### التقوى:

فما هي؟ وما محلها؟

هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل،  
والاستعداد ليوم الرحيل.

أما محلها: فقد أجاب الرسول ﷺ عن هذا السؤال قائلاً وهو يشير  
إلى صدره الشريف:

"التقوى ها هنا ثلاث مرات".

الإيمان والتقوى: بنظرة خاطفة إلى ما قدمناه: ندرك أن المسائل  
الثلاث قد جمعت بينها السرية.

الإيمان قلبى، والصيام سرى، والتقوى محلها الصدر.

فجاء الصيام بين الإيمان والتقوى ليعانق كليهما عناق الأخوة  
والعظمة هاتفاً:

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

ومن هنا أيضاً يتجلى الصيام أستاذاً فى أدق الأبواب للأخلاق؛ وهو  
تربية الضمير - أشد ما تحتاج إليه الأمم.

إذ هو الرقيب الداخلى فى النفس، ومن هنا تتجلى عظمة الإيمان  
بالغيب فى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

فإن لم يوافق ظاهر المرء باطنه فقد هوى من باذخ العلياء إلى  
حضيض الغبراء، ووقع فى الدرك الأسفل مع المنافقين الذين ﴿ وَإِذَا لَقُوا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا  
نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾.

نعم الصيام: صيام المؤمن التقى، أنه يقوى فيه الرقابة لله تعالى:  
﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدٌ ﴾.

ولقد بلغ الضمير مداه عندما كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه  
يمشى إذ وجد راعياً يرعى غنماً.

قال له عمر: ما ضر لو أعطيتنا غنمة نتغذى بها؟

فقال له: إنها ليست ملكى وإنما هى ملك سيدى.

فوضعه عمر أمام الاختبار القاسى الذى كثيراً ما قطع أعناق  
الرجال.

اختبار المال، عندما نثر عمر أمامه بعض الدراهم والدنانير  
- وللدراهم بريقها وللدنانير رنينها - فماذا قال له الغلام عندما قال له  
عمر أشترى منك هذه الغنمة بهذا المال؟

سرعان ما وثب الإيمان كالأسد الذى ديس عرينه وقال:

فماذا أقول لسيدى لو سألتنى عنها؟

قال له عمر:

قل له أكلها الذئب، فكثيراً ما يأكل الذئب الغنم..

وهنا انتفض الغلام وقد تحرك الإيمان فى قلبه، وإذا تحرك الإيمان  
كاد يجعل من الملح الأجاج عذباً فرائئاً سلسبيلاً.

قال يا هذا ، وإذا كذبت على سيدي الأصغر فأين الله؟ أين الله؟ أين الله؟

نعم . وما أن سمع عمر هذه الكلمة حتى انتفض انتفاضة العصفور إذا بلله ماء المطر ، إنها كلمة لو أنزلت على الجبال لحرّت منها هدأً ، كيف أكذب على الله؟

ويرخى الستار على هذا المشهد ، ولكن أترك عمر الموقف هكذا صامتاً؟

لا ثم لا . لقد ذهب إلى سيد الغلام فاشتري منه غنمه وعده ، وأراد أن يسلمه جائزة الدولة التقديرية .

قال للغلام: أنت حر وقد وهبتك هذه الغنم كلها ثم قال عمر كلمته المشهورة:

أنقذته كلمته تلك من عبودية الدنيا وأرجو أن تنقذه من عذاب النار يوم القيامة .

نعم . إنها جائزة الدولة التقديرية يكافأ بها الأمناء الأوفياء الأتقياء الأنقياء ، الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا .

تربية الضمير: ألسنت معى يا أخی أن الضمير إذا تربى فى أحضان الإيمان والصيام والتقوى بنى أمة تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس فى الجلاء .

إنها البحر الذى ينساب فى أرجاء الدنيا ليغسل وجه الأرض من أرجاسها وأنجاسها وأدناسها .

كان يوسف بن يعقوب عليهما السلام على خزائن مصر ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، فقليل له: أيها الصديق ، لِمَ تُكثِر من الصوم وقد وضع الله خزائن الأرض تحت يديك؟

فماذا قال يوسف عليه السلام؟

قال كلمة وأصبحت مثلاً وأصبح الجبل بعد الجبل يرويهها.  
قال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: إنى أخشى أن أشبع فأنسى  
الجائع.

أست معى أن الصيام أستاذ يسوس الأمم سياسة حكيمة رشيدة.  
يجيع الراعى ليشعره بحال الرعية؟

عن سليمان الفارسي رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى  
آخر يوم شعبان فقال:

"أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف  
شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة  
من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة كان  
كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه  
الجنة، وهو شهر المواساة، وهو شهر يزداد فيه من رزق المؤمن. من فطر  
فيه صائماً كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه.

قال: قلنا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يُفطر به الصائم، قال:  
يعطى الله هذا الثواب من يُفطر صائماً على مذقة لبن أو شربة ماء أو  
تمرّة، ومن أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوض  
شربة لا يظلم بعدها أبداً، وكان له مثل أجر غيره من غير أن ينقص من  
أجره شيء.

وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ومن خفف  
عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار. فاستكثرُوا فيه من أربع خصال،  
خصلتين ترضون بها ربكم وخصلتين لا غنى لكما عنهما. أما  
الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله  
وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكما عنهما تسألون ربكم  
الجنة وتتعوذون به من النار."

أدعو الله أن يتقبل منا صيامنا، ويوفقنا إلى قيام ليلنا، وأن ينعم علينا ببركات هذا الشهر العظيم، وأن يعيده علينا بالخير واليمن وجمع شمل المسلمين، إنه سميع مجيب الدعوات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### شفاء لما فى الصدور

وهذه أذكار فيها شفاء لما يعانیه المرء من الكرب والغم والحزن والهم.

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۗ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ ۗ

فيا من يجيب المضطر إذا دعاه.

ويكشف السوء عمن ناداه.

نسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاءا من كل داء.

جاء فى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب:

"لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم".

وفى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر قال:

"يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث"

وفيه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: "سبحان الله العظيم"

وإذا اجتهد في الدعاء قال: "يا حي يا قيوم".

وفي سنن أبي داود عن أبي بكره أن رسول الله ﷺ قال:

"دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت".

وفي السنن أيضاً عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

"ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب - أوفى الكرب - الله الله ربي، لا أشرك به شيئاً".

وفي رواية: أنها تقال سبع مرات.

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ:

"دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استُجيب له".

وفي رواية له:

"إني لأعلم كلمة لا يقرؤها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام".

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود

عن النبي ﷺ:

"ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضى فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً".

أما عن لقاء العدو وما يخافه، فقد جاء في سنن أبي داود والنسائي

عن أبي موسى:

أن النبي ﷺ إذا خاف قوماً قال:  
"اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم".  
ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو:  
"اللهم أنت عضدي .. وأنت ناصري .. وبك أقاتل".

وعنه ﷺ أنه كان في غزوة فقال:  
"يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك أستعين".

قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:  
"إذا خضت سلطاناً أو غيره فقل لا إله إلا الله الحكيم الكريم  
سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز  
جارك وجل ثناؤك".

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال:  
"حسبنا الله ونعم الوكيل. قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى في النار،  
وقالها محمد ﷺ حين قال الناس: "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم".

أما عن الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وشيرها فقد جاء  
في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:  
"كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول:  
إن أباكما إبراهيم كان يُعوذ بها اسماعيل وإسحاق، أعيدكما  
بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة".

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً من  
أصحاب النبي ﷺ رقى لديقاً بفاتحة الكتاب فجعل يتبل عليه ويقرأ  
"الحمد لله رب العالمين" فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به  
من ألم.

وفى الصحيحين أيضاً أن النبي ﷺ كان يُعوِّذُ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول:

"اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقماً".

أما عند الدخول بالزوجة فقد جاء فى الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

"لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً".

أما عن فضل الفاتحة: فقد قال النبي ﷺ لأبى سعيد بن المعلى ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قال بلى يا رسول الله.

قال: "الحمد لله رب العالمين وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته".

فاللهم إنا نسألك لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وعملاً متقبلاً وسعادة فى الدنيا والآخرة.

### سيدة آي القرآن الكريم

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ بأنها أفضل آية فى كتاب الله.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ سأله: "أى آية فى كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم.. فرددها مراراً ثم قال: آية الكرسي. قال: ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسى بيده إن لها لسائناً وشفقتين تقديس الملك عند ساق العرش".

وعن أبي أيضاً فى فضل آية الكرسي قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنا ميسرة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبى كثير عن عبيدة بن أبى لبابه عن عبد الله بن أبى بن كعب أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه غر قال:

فكان أبى يتعاهده فوجده ينقص، قال: فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبيه الغلام. قال: فسلمت عليه، فرد السلام. قال: فقلت ما أنت؟ جنى أم إنسى؟ قال: جنى. قال: قلت ناولنى يدك. قال: فناونى يده، فإذا يد كلب وشعر كلب، فقلت: هكذا خلق الجن؟ قال: لقد علمت الجن ما فيهم أشدمنى. قلت:

فما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغنى أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك .

قال: فقال له أبى فما الذى يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية، آية الكرسي.

ثم عدا إلى النبي ﷺ فأخبره فقال النبي ﷺ: "صدق الخبيث". وروى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سأل رجلاً من صحابته فقال: "أى فلان هل تزوجت؟

قال: لا وليس عندى ما أتزوج به.

قال: أوليس معك: "قل هو الله أحد"؟

قال: بلى. قال: ربع القرآن. قال: أليس معك "قل يا أيها الكافرون"؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن. قال: أليس معك "إذا زلزلت"؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن. قال: أليس معك "إذا جاء نصر الله"؟ قال: بلى. قال: ربع

القرآن. قال: أليس معك آية الكرسي "الله لا إله إلا هو"؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن".

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي ذر الغفار رضى الله عنه. قال: أتيت النبي ﷺ وهو فى المسجد فجلست. فقال: "يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا. قال: قم فصل.

قال: فقمتم فصليت ثم جلست. فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن.

قال: قلت يا رسول الله أو للإنس شياطين؟

قال: نعم. قلت: يا رسول الله: الصلاة؟ قال: خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر. قال: قلت يا رسول الله: الفصوم؟ قال: فرض مجزى وعند الله مزيد. قال: قلت: يا رسول الله فالصدقة؟ قال: أضعاف مضاعفة. قال: قلت يا رسول الله فأبها أفضل؟ قال: جهد من مقل أو سر إلى فقير. قال: قلت يا رسول الله: أى الأنبياء كان أول؟ قال: آدم. قال: قلت يا رسول الله: ونبي كان؟ قال: نعم نبي مكلم. قال: قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما عفيراً. وقال مرة: وخمسة عشر. قال: قلت يا رسول الله: أى ما أنزل عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي "الله لا إله إلا هو الحي القيوم". (رواه النسائي).

وعن أبى أيوب الأنصارى أنه كان فى سهوة له وكانت الغول تجيء وتأخذ فشكاها إلى النبي ﷺ:

"ما فعل أسيرك؟ قال: أخذتها، فقالت إنى لا أعود. فأرسلتها. فقال: إنها عائدة. فأخذتها مرتين أو ثلاثاً. كل ذلك تقول: لا أعود. وأجىء إلى النبي ﷺ فيقول: ما فعل أسيرك؟ فأقول: أخذتها، فتقول لا أعود. فيقول: إنها عائدة. فأخذتها. فقالت: أرسلنى وأعلمك شيئاً تقوله فلا يقربك شىء، آية الكرسي. فأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال: صدقت وهى كذوب". (رواه الترمذى فى فضائل القرآن).

وقد ذكر البخارى هذه القصة عن أبى هريرة فقال فى كتاب فضائل القرآن وفى كتاب الوكالة وفى صفة إبليس عن صحيحه. قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو حدثنا عوف بن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال: "وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعنى فإنى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة. قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله. قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته. فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعنى فإنى محتاج وعلى عيال، لا أعود. فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله، قال: وما هى؟ قلت: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وقال لى: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح (وكانوا أحرص شىء على الخير)، فقال ﷺ: أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: ذلك شيطان".

كذا روى البخارى معلقاً بصفة الجزم وقد رواه النسائي فى اليوم والليلة عن إبراهيم ابن يعقوب عن عثمان بن الهيثم فذكره.

وقد روي من وجه آخر عن أبى هريرة بسياق آخر قريب من هذا.

فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرويه حدثنا أحمد بن زهير بن حرب أنبأنا مسلم بن إبراهيم أنبأنا اسماعيل بن مسلم العبدى أنبأنا المتوكل الناجى أن: أب هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوماً ففتح الباب

فوجد التمر قد أخذ منه ملء كف، ودخل يوماً آخر فإذا قد أخذ منه ملء كف، ثم دخل يوماً آخر ثالثاً فإذا قد أخذ منه مثل ذلك، فشكا ذلك أبو هريرة إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ "تحب أن تأخذ صاحبك هذا؟" قال: نعم قال: "فإذا فتحت الباب فقل: (سبحان من سخرك محمد) فذهب ففتح الباب. فقال: (سبحان من سخرك محمد) فإذا هو قائم بين يديه. قال: يا عدو الله أنت صاحب هذا؟ قال: نعم دعني فإنني لا أعود ما كنت آخذاً إلا لأهل بيت من الجن فقراء، فخلني عنه، ثم عاد الثانية، ثم عاد الثالثة. فقلت: أليس قد عاهدتني ألا تعود. لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ. قال: لا تفعل فإنك إن تدعني علمتك كلمات إذا أنت قلتها لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى. قال له: لتفعلن؟ قال: نعم. قال: ما هن؟ قال: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم" قرأ آية الكرسي حتى ختمها، فتركه فذهب فلم يعد، فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: أما علمت أن ذلك كذلك".

وقد رواه النسائي عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن شعيب بن حرب عن اسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل عن أبي هريرة قال أبو عبيد حدثنا معاوية عن أبي عاصم الثقفي عن الشعبي عن عبد الله بن سعود قال:

"خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن، فقال: هل لك أن تصارعني فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان. فصارعه، فصرعه. فقال: إنى أراك ضئيلاً شخيلاً كأن ذراعيك ذراعاً كلب، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال: إنى بينهم لضليع فعاودني فصارعه فصرعه الإنسى. فقال: قرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خيخ كخيخ الحمار. فقيل لابن مسعود أهو عمر. فقال: من عسى أن يكون إلا عمر.

قال أبو عبيد :

الضئيل: النحيف الجسم.

والخيخ: بالخاء المعجمة ويقال بالخاء والمهملة : الضراط.

فاللهم نسالك الهدى والتقوى، والعفاف والغنى، والسلامة من كل  
إثم، والغنيمة من كل بر، والعصمة من كل ذنب، كما نسألك علماً  
نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**نور على نور**

﴿ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
خَبِيرٌ ﴾.

والمقصود بالنور هنا كتاب الله تعالى فقد وصفه رب العزة بأنه روح  
ونور.

قال تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ  
وَلَا الْإِيمَنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۗ وَإِنَّكَ  
لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

نعم. إنه روح يحيى الله به الموات، ونور يبدد غياهب الظلمات .

نور أضاء فبدد الظلماء والكون أصبح باسمًا وضاءً

ومن آيات هذا النور آية الكرسي التي لو أوتى الإنسان سحر البيار  
الذي تخر له العمالقة ومنح ريشة بديعة الأداء وأعطى قدرة التصوير فم  
التعبير ما أستطاع أن يحصى فضائل تلك الآية .

ففى هذا المقام مراتب لا تحصى ومراق لا تستقصى.

هى البحر فى أحشائه الدر كامن ومن وقف على ساحل هذا البحر سلك مدارج الأنوار وحقائق الأسرار ليعيش فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

من تلك الفضائل: ما رواه الحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

"سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن لا تقرأ آية الكرسى فى بيت فيه شيطان إلا خرج منه".

وعن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب أنه خرج ذات يوم إلى الناس فقال: أيكم يخبرنى بأعظم آية فى القرآن؟

فقال ابن مسعود: على الخير سقطت. سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"أعظم آية فى القرآن الله لا إله إلا هو الحى القيوم"

ومن أفضال تلك الآية أنها اشتملت على اسم الله الأعظم.

روى الإمام أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول فى هاتين الآيتين: (الله لا إله إلا الله هو الحى القيوم) و(الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) إن فىهما اسم الله الأعظم".

وعن أبى أمامة رضى الله عنه يرفعه قال:

"اسم الله الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب فى ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه".

وقال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق أما فى البقرة "الله لا إله إلا هو الحى القيوم" وفى آل عمران "الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم" وفى له "وعنت الوجوه للحى القيوم".

ومن فضائل تلك الآية الكريمة لمن قرأها بعد الصلاة جاء عن أبي  
أمامة قال: قال رسول الله ﷺ:

"من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول  
الجنة إلا أن يموت". (وهكذا رواه النسائي)

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال:

"أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام أن اقرأ آية الكرسي  
في دبر كل صلاة مكتوبة فإنه من يقرؤها في دبر كل صلاة مكتوبة  
أجعل له قلب الشاكرين ولسان الذاكرين وثواب النبيين وأعمال  
الصديقين.. ولا يواظب على ذلك إلا نبي أو صديق أو عبد امتحنت قلبه  
للإيمان أو أريه قتله في سبيل الله".

ومن فضائل هذه الآية أنها تحفظ من قرأها في أول النهار وأول الليل.  
روى أبو عيسى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

"من قرأ حم المؤمن إلى: "إليه المصير" وآية الكرسي حين يصبح  
حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى  
يصبح".

والمراد بحم المؤمن قوله تعالى:

﴿ حَمِّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ  
وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَهُ  
الْمَصِيرُ ۝ ﴾

وقد اشتملت آية الكرسي على عشر جمل مستقلة، فقوله ﴿ اللَّهُ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق. ﴿ الْحَيُّ  
الْقَيُّومُ ﴾ أى الحى فى نفسه الذى لا يموت أبداً، القيم لغيره، وكار

عمر يقرأ: "القيام" فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾.

وقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ أى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم.

فقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ ﴾ أى لا تغلبه سنة وهى الوسن والنعاس، ولهذا قال: "ولا نوم" لأنه أقوى من السنة وفى الصحيح عن أبى موسى قال: قال فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال:

"إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار، حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرمت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"

وقوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده وفى ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله:

﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾<sup>(١٠١)</sup>  
لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٠٢﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿١٠٣﴾.

وقوله: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾.

كقوله: ﴿ وَكَرَّ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾.

وكقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة.

### حٰصِنُوا أَنْفُسَكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ

ما أسعد الإنسان إذا أغتتم خمساً قبل خمس؛ شبابه قبل هرمه، وصحته قبل سقمه، وغناه قبل فقره، وفراغه قبل شغله، وحياته قبل موته.

دنياك ساعات سراع الزوال      وإنما العقبى خلود المآل  
فهل تبيع الخلد يا عاقلاً      وتشترى دنيا المنى والضلال

وما أعقل المرء إذا علم في ساحة الحساب سيسأل علام الغيوب عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا صنع فيه؟

ولقد عجبت لغافل وليس بمغفول عنه، ولؤمل في الدنيا، والموت يطلبه، ولضاحك ملء فيه لا يدرى الله راضٍ عنه أم ساخط عليه، وبكيت لفراق الأحبة محمد وصحبه ولهول المطلع عند سكرات الموت، وللوقوف بين يدي الله لا أدري أينطلق بي إلى الجنة أم إلى النار وما أظلم الإنسان إذا ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه وما أشقاد إذا طغت كثافة المادة فيه

على لطافة الروح فتمرغ في أوحال الأرض وتقلب في الحمأ المسنون ومن ثم فإنه يكون قد آخذ إلى الأرض وأتبع هواه وما أدراك ما الهوى؟ إنه نوازع النفس إلى مسالك الشر ومن عرف الهوى فقد هوى.

﴿ يَدَاوُرُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾.

وهل شقيت البشرية وذل سعيها في الحياة الدنيا إلا لما انغمست في ظلمات المادة ونسيت مطالب الروح.

قال أحد الزعماء الأمريكيين: إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعاني أزمة مادية إنما تعاني أزمة روحانية لقد وجدنا أنفسنا أغنياء في السلع لكننا فقراء في الروح نصل في قرب عظيم إلى القمر ونسقط في خلاف حاد على الأرض.

نعم. ليست السعادة في سكنى القصور وفتنة الغيد الأماليد والانتشار باحتساء الكؤوس المترعة ولكن السعادة في رضا الله تعالى عند العبد ورضا العبد عما قضى الله.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿١٠١﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠٣﴾ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

إن السعادة الحقيقية تتركز في ثقة المؤمن بربه واطمئنان قلبه إلى قضائه وقدره، قيل للحسن البصرى رضى الله عنه: ماسر سعادتك؟

قال: علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبي، وعلمت أن عملى لا يقوم به سوى فاشتغلت به، وعلمت أن الله مُطَّلَعٌ عليَّ فاستحييت أن يرانى على معصيته، وعلمت أن الموت ينتظرنى فأعددت الزاد للقاء الله.

وقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول لأبى ذر:

"جدد السفينة فإن البحر عميق وأكثر من الزاد فإن السفر طويل وأخلص العمل فإن الناقد بصير وخفف الحمل فإن العقبة كثود".

تزود من حياتك للمعاد      وقم لله واجمع خير زاد  
ولا تركز إلى الدنيا كثيراً      فإن المال يجمع للنفاد  
أترضى أن تكون رفيق قوم      لهم زاد وأنت بغير زاد

لقد ركز الرسول ﷺ معالم السعادة فى حديثه الجامع:  
"ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس"

وهل يكون هناك رضا إلا أن يكون هناك تقوى؟

لذا قدم الرسول ﷺ الأمر بالتقوى على الرضا، فقال:  
"اتق المحارم تكن أعبد الناس"

ثم قال: "وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب لأخيك كما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب".

إن مملكة الرضا لا تزحزحها نوائب الدهر، ولا تؤثر فيها رياحه الهوجاء ولا عواصفه القاصفة أو زوابعه العاصفة، لأنها مملكة شيدها الله صنفاً على عينيه، وهل هناك من يقوى على تحطيم ما شيده مالك الملك وملك الملوك؟

قالوا للحسن البصرى رضى الله عنه: يا تقى الدين: أى الأيام عندك عيد؟

فقال: كل يوم لا أعصى الله فيه فهو عيد.

هذا هو السياج الحصين والحصن المكين الذى يحيط بمملكة  
الرضا.

إنها الطاعة لله ورسوله ﷺ.

إذا كنت فى نعمة فارعها      فإن المعاصى تزيل السنعِم  
وداوم عليها بشكر الإله      فإن الإله سريع السنعِم

لقد كانوا يبيتون على الطوى يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء،  
وأسنتهم تلهج بالثناء على خالق الأرض والسماء يقولون:

نحن فى سعادة لو علمت بها الملوك لجالدتنا عليها بالسيوف.

كانت أنواع البلاء تنزل بهم فيذكر أحدهم ربه قائلاً:

"الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من عباده وصلى الله  
على سيدنا محمد".

فيقال له: مما عافاك الله وقد ابتلاك بكثير من ألوان البلاء؟

فيقول: وهب لى قلباً يشكره ولساناً يذكره.

لقد كان الحسن رضى الله عنه أسمر الوجه فبيض الله وجهه لأنه،  
كان قوَّاماً بالليل يصفُ قدميه فى الحضرة الإلهية، مرتلاً كتاب ربه  
خاشعاً باكياً خاضعاً عابداً قائناً.

ف قيل له: ياتقى الدين بأى شىء أكرمك الله فبيض وجهك؟

فقال: خلونا به ليلاً والناس نيام فكسانا من جماله.

وكان رضى الله عنه يقول:

من أراد ان يكلم الله فليدخل فى الصلاة، ومن أراد أن يكلمه الله  
ليقرأ القرآن.

يا المرء لم يلبس ثياباً من التقى      تقلب عرياناً ولو كان كاسياً  
خير لباس المرء طاعة ربه      ولا خير فيمن كان لله عاصياً

إن مملكة الرضا إذا قامت في نفس المؤمن أنزلت في قلبه السكينة  
فصيرته أشد ثباتاً من الجبال الشَّم والرواسي الشامخات. فأصبح من  
القوة الإيمانية بحيث تزول الجبال ولا يزول.

قال تعالى:

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.

فاللهم أنزل سكينة علينا وارض عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا  
فنعم المولى ونعم النصير.

## أنت تسأل والشيخ يجيب

### السؤال الأول:

جاءتني رسالة يسأل فيها أصحابها عن معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [١٥٤] وَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٦﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٧﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَن آعَدَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَآعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعَدَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَآتَّقُوا اللَّهَ وَآعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٥٨﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٩﴾

### الإجابة:

من روائع البيان للصابوني يقول:

التحليل اللفظي لهذه الآيات الكريمة:

ثَقِفْتُمُوهُمْ: الثقف: الأخذ والإدراك.

والظفر يقال: ثقفه واحدة أو ظفربه.

قال اللسان: ثقف الرجل: ظفربه.

قال تعالى:

﴿فَأِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾.

ورجل ثقيف إذا كان محكماً لما يتناوله من الأمور.

قال الراغب: الثقف: الحذق في إدراك الشيء وفعله ومنه استعير المثاقفة.

ويقال: ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر.

وفي الكشاف: الثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه:

قال الشاعر:

فإما تثقفونى فاقتلونى فممن أثقف فليس إلى خلود

والمعنى:

اقتلوا الكفار حيث وجدتموهم وظفرتهم بهم في حل أو حرم.

الفتنة: الابتلاء والاختيار وأصلها من الفتن وهو إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته.

قال الأزهري: جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار مأخوذ من قولك:

فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد.

والمعنى: إيذاء المؤمنين بالتعذيب والتشريد بقصد أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفاراً أعظم جرماً عند الله من القتل.

وقال ابن عباس:

الشرك أعظم من القتل في الحرم.

والحرمات قصاص: الحرمات جمع حرمة كالظلمات جمع ظلمة،  
والحرمة كل ما منع الشرع من انتهاكه وإنما جمعت لأنه أراد حرمة  
الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الإحرام.  
والقصاص: المساواة والمماثلة.

والمعنى:

إذا انتهكوا حرمة الشهر فقاتلوكم فيه فقاتلوهم أنتم أيضاً ولا  
تتخرجوا.

قال الزجاج:

أعلم الله المسلمين أنه ليس لهم أن ينتهكوا هذه الحرمات على سبيل  
الابتداء بل على سبيل القصاص.

التهلكة: التهلكة بضم اللام بمعنى الهلاك.

يقال: هلك يهلك هلاكاً وتهلكة.

قال أبو عبيدة: التهلكة والهلاك والهلك واحد مصدر هلك.

وفى اللسان: التهلكة: الهلاك.

وقيل: كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك.

المحسنين: جمع محسن وهو الذى ينفع غيره بنفع حسن أو يحسن  
عمله بفعل ما يرضى الله تعالى.

المعنى الإجمالى:

يقول الله جل ثناؤه ما معناه: قاتلوا أيها المؤمنون فى سبيل إعلاء  
كلمة الله وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم من الكفار ولا تعتدوا بقتل  
الأطفال والنساء والشيوخ ممن لا قدرة لهم على القتال، فإن الله يكره  
البغى أيًا كان مصدره.

واقتلوهم أينما أدركتموهم وصادفتموهم، ولا يصدنكم عنهم  
 نكم في أرض الحرم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه،  
 وهو مكة بلدكم الأصلى الذى أخرجوكم منه ظلماً وعدواناً، والفتنة  
 للمؤمنين وإيذائهم بالتعذيب والتشريد والإخراج من الوطن والمصادرة  
 للمال أشد قبحاً من القتل، ولا تقتلوهم أيها المؤمنون عند المسجد  
 الحرام حتى يبدءوكم بالقتال فإن قاتلوكم فاقتلوهم ولا تستسلموا  
 لهم، فالبادىء هو الظالم، والمدافع غير آثم، كذلك جزاء الكافرين  
 فإن انتهوا عن عدوانهم فإن الله غفور رحيم.

ثم أكد تعالى الأمر بقتال الكفار وبيّن الغاية منه وهى ألا يوجد  
 شىء من الفتنة فى الدين فقال: قاتلوهم حتى تظهروا عليهم فلا  
 يفتوكم عن دينكم، ويكون الدين خالصاً لله فلا يعبدوا دونه أحداً،  
 وتكون العبادة و الطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان، فإذا  
 انتهوا عن قتالكم ودخلوا فى دينكم فاتركوا قتالهم لأنه لا ينبغى أن  
 يعتدى إلا على الظالمين .

ثم أخبر تعالى أن المشركين بإصرارهم على الفتنة و إيذائهم  
 للمؤمنين فعلوا ما هو أشد قبحاً من القتل فقال مخاطباً المؤمنين.

الشهر الحرام يقابل بالشهر الحرام وهتك حرمة تقابل بهتك حرمة  
 فلا تبالوا أيها المؤمنون بالقتال فيه إذا اضطررتم للدفاع عن دينكم  
 وإعلاء كلمة الله فمن تعرض لقتالكم واعتدى عليكم فقاتلوه وردوا  
 عدوانه بلا ضعف ولا تقصير بمثل ما يعتدى عليكم واتقوا الله فلا تبغوا  
 وتظلموا فى القصاص إن الله يحب المتقين

ثم أمر تعالى بالجهاد بالمال بعد الأمر بالجهاد بالأنفس فقال:

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

أى أبدلوا المال فى سبيل الله لنصرة دينه والدفاع عن الحق ولا تبخلوا فتشحوا بالمال فإن ذلك يضعفكم ويمكن الأعداء من نواصيكم فتهلكون وأحسنوا فإن الله يحب المحسنين.

سبب النزول:

أولاً: رُوِيَ أن رسول الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت ونحر هديه بالحديبية وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل، رجع، فلما تجهز فى العام المقبل خاف أصحابه أن لا تفى لهم قريش بذلك وأن يصدوهم ويقاتلوهم وكره أصحابه القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾.

قاله ابن عباس.

ثانياً: ورُوِيَ أن المشركين قالوا للنبي عليه السلام: انتهيت عن قتالنا فى الشهر الحرام؟

قال: نعم. وأرادوا ان يفتروه فى الشهر الحرام فيقاتلوا فيه فنزلت هذه الآية:

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾.

قاله الحسن.

ثالثاً: ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: نزلت فى عمرة القضاء وعام الحديبية فى ذى القعدة سنة ست فصدته كفار قريش عن البيت فانصرف ووعده الله سبحانه أن سيدخله فدخله سنة سبع وقضى نسكه فنزلت هذه الآية: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾.

رابعاً: وروى ابن جرير الطبرى عن "أسلم أبى عمران" قال: كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر "عقبة بن عامر" وعلى أهل الشام "نضالة بن عبيد" فخرج صف عظيم من الروم فصففنا لهم نحمل رجلاً من

لمسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا سبحان  
للّٰه ألقى بيده إلى التهلكة، فقام "أبو أيوب الأنصاري" صاحب رسول  
للّٰه ﷺ فقال:

أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما نزلت  
هذه الآية فينا معاشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصره قال  
بعضنا سرّاً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وأن الله قد أعز  
الإسلام فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله في  
كتابه يرد علينا ما هممنا به:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا لغزو، فما  
زال "أبو أيوب" غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله ودفن بالقسطنطينية.

## لطائف التفسير

### اللطيفة الأولى:

لا يذكر في القرآن الكريم لفظ "القتال" أو "الجهاد" إلا وهو  
مقرون بعبارة "سبيل الله" وذلك يدل على أن الغاية من القتال غاية  
مقدسة نبيلة هي "إعلاء كلمة الله" لا السيطرة أو المغنم أو إظهار  
الشجاعة أو الاستعلاء في الأرض وقد وضع هذه الغاية النبيلة قوله عليه  
السلام:

"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"

### اللطيفة الثانية:

قال الزمخشري عند قول الله تعالى:

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل.

وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت؟

قال: الذى يتمنى فيه الموت.

جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت  
ومنه قول القائل:

لقتل بحد سيف أهون موقعاً على النفس من قتل بحد فراق

### اللطيفة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

قال الإمام الفخر: فإن قيل: لم سمى ذلك القتل عدواناً مع أنه حق  
وصواب؟

قلنا: لأن ذلك القتل جزاء العدوان، فصح إطلاق اسم العدوان عليه  
كقوله تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

قال الزجاج: والعرب تقول: ظلمنى فلان فظلمته أى جازيته بظلمه،  
وجهل فلان على فجهلت عليه، وعليه قول الشاعر:

ألا لا يجهلنَّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

### اللطيفة الرابعة:

قول تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾.

الدفاع عن النفس مشروع ولا يعد اعتداء، وإنما سمى فى الآية  
اعتداء "فاعتدوا عليه" من باب "المشاكلة" وهى الاتفاق فى اللفظ مع  
الاختلاف فى المعنى كقول القائل:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصاً

والأصل فيها: "فمن اعتدى عليكم" فقابلوه وجازوه بمثل ما اعتدى عليكم، وباب المشاكلة وردت فيه آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾.

وقوله: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾.

وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

### اللطيفة الخامسة:

قال بعض العلماء:

لا أعلم مصدراً جاء في لغة العرب على وزن "يَفْعُلَة" بضم العين إلا في هذه الآية:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

وقال صاحب الكشاف: ويجوز أن يقال:

أصله التهلكة كالتجربة والتبصرة على أنه مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء في الجوار.

قال الإمام الفخر: إنى لأتعجب كثيراً من تكلفات هؤلاء النحويين في أمثال هذه المواضع، وذلك أنهم لو وجدوا شعراً مجهولاً يشهد لما أرادوه فرحوا به واتخذوه حجة قوية، فورد هذا اللفظ في كلام الله تعالى المشهود له من الموافق والمخالف بالفصاحة أولى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها.

أقول: ما ذكره الإمام الفخر هو الحق والصواب فالقرآن الكريم حجة على اللغة وليست اللغة حجة على القرآن ورضى الله عن الإمام الفخر فقد أجاد في هذا وأفاد.

## اللطفة السادسة:

الجهاد فى سبيل الله أفضل القربات عند الله ولا يعدله شىء من العبادات لقوله عليه السلام: "مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله".

كتب "عبد الله بن المبارك" إلى "الفضيل بن عياض" بهذه الأبيات

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك فى العبادة تلعبُ
مَنْ كان يخضب خده بدموعه	فَنُحُورُنَا بِدَمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أو كان يُتعب خيله فى باطل	فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وَهَجُّ السِّنَابِكِ وَالغَبَارِ الْأَطْيَبُ

فلما قرأها الفضيلُ ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى.

## الأحكام الشرعية

الحكم الأول: متى فرض الجهاد على المسلمين؟

لم يختلف العلماء فى أن القتال قبل الهجرة كان محظوراً على المسلمين بنصوص كثيرة فى كتاب الله تعالى منها قوله تعالى:

﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ ﴾

وقوله: ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

وقوله: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ﴾

وقوله: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾

وقوله: ﴿ وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾

وأمثال هذه الآيات كثيرة تدل على أن المؤمنين كانوا منهيين عن قتال أعدائهم.

وهناك نص صريح بالكف عن القتال وهو قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا

الزَّكَاةَ فَآمَنُوا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مَّحْشُونَ النَّاسَ ﴾ الآية .

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس انه قال: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله كنا فى عز و نحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة.

فقال عليه الصلاة والسلام:

"إنى أمرتُ بالعضو فلا تقاتلوا"

فلما حوَّله الله إلى المدينة أُمِرَ بالقتال فكفوا، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿الْمَرَّةَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية.

والحكمة في الكف عن القتال في بدء الدعوة يمكن أن نلخص أسبابها فيما يلي:

(أ) إن المسلمين كانوا في مكة قلة، وهم محصورون فيها لاحول لهم ولا قوة، ولو وقع بينهم وبين المشركين حرب أو قتال لأبادوهم عن بكرة أبيهم، فشاء الله أن يكثرُوا وأن يكون لهم أنصار وأعوان وأن يرتكزوا على قاعدة آمنة تحميها الدولة، فلما هاجروا إلى المدينة المنورة أُذِنَ لهم بالقتال بعد أن قويت شوكتهم وكثُرَ عددهم.

(ب) كانت الغاية تدريب نفوس المؤمنين على الصبر امتثالاً للأمر وخضوعاً للقيادة وانتظاراً للإذن. وقد كان العرب في الجاهلية شديدي الحماسة لا يصبرون على الضيم، وقد تعودوا الاندفاع والحماسة والخفة للقتال عند أول داع، فكان لا بد من تمرينهم على تحمل الأذى والصبر على المكاره والخضوع لأمر القيادة العليا، حتى يقع التوازن بين الاندفاع والتروى والحمية والطاعة في جماعة هيأتهم إرادة الله لأمر عظيم.

(ج) البيئة العربية كانت بيئة نخوة ونجدة وكان صبر المسلمين على الأذى وفيهم الأبطال الشجعان الذين يستطيعون أن يردوا الصاع صاعين مما يثير النخوة ويحرك القلوب نحو الإسلام.

حصل هذا بالفعل في "المحاصرة في الشعب" عند أجمعت قريش على مقاطعة بنى هاشم كي يتخلوا عن حماية الرسول صلى الله عليه وسلم واشتد الاضطهاد على بنى هاشم ثارت نفوس لم تؤمن

بالإسلام أخذتها النخوة والنجدة حتى مزقوا الصحيفة لتي تعاهد فيها المشركون على المقاطعة وانتهى ذلك الحصار المشؤوم. (د) كان المسلمون في مكة يعيشون مع آبائهم وأهلهم في بيوت وكان أهلهم المشركون يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم ويردوهم إلى الشرك والضلال، فلو أذن للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم يومذاك لكان معنى هذا أن تقوم معركة في كل بيت وأن يقع دم في كل أسرة وليس من مصلحة الدعوة أن تثار حرب دموية داخل البيوت فلما حدثت الهجرة وانعزلت الجماعة أبيح لهم القتال.

### الحكم الثاني: ماهي أول الآيات في تشريع القتال؟

اختلف السلف في أول آية نزلت في القتال فروى عن "لربيع بن أنس" وغيره أن أول آية نزلت هي قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ ﴾.

نزلت بالمدينة، فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتته ويكف عمن كف عنه.

وروى عن جماعة من الصحابة منهم "أبو بكر الصديق" و"ابن عباس" و"سعيد بن جبير" أن أول آية نزلت في القتال هي قوله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ من سورة الحج.

قال أبو بكر بن العربي:

والصحيح أن أول آية نزلت آية الحج ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ ﴾ ثم نزل ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ ﴾ فكان القتال إذنا ثم

أصبح بعد ذلك فرضاً ، لأن آية الإذن فى القتال مكية وهذه الآية مدنية متأخرة.

### الحكم الثالث: هل يباح القتال فى الحرم؟

دل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ﴾.

على حرمة القتال فى الحرم إلا إذا بدأ المشركون بالعدوان فيباح لنا قتالهم دفعاً لشركهم وإجرامهم، ولا يجوز لنا أن نبدأهم بالقتال عملاً بالآية الكريمة.

وعلى هذا تكون الآية مُحكِّمة غير منسوخة، وقد روى عن مجاهد

فى قوله تعالى:

﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾

أنه قال: لا تقاتل فى الحرم أحداً أبداً فمن عدا عليك فقاتلك فقاتله كما يُقاتلك.

وروى عن قتادة أنه قال: الآية منسوخة نسختها آية براءة ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ

الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

قال العلامة القرطبي:

وللعلماء فى هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة.

والثانى: أنها محكمة.

قال مجاهد: الآية محكمة ولا يجوز قتال أحد فى المسجد الحرام إلا

بعد أن يُقاتل.

وبه قال طاووس، وهو الذى يقتضيه نص الآية وهو الصحيح من

القولين وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه.

ويدل عليه ما روى فى الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ  
خطب يوم فتح مكة فقال:

"يا أيها الناس! إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، ولم  
تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى، وإنما أحلت لى ساعة من النهار ثم  
عادت حراماً إلى يوم القيامة"

### مناظرة لطيفة:

قال القاضى أبو بكر بن العربى:

"حضرت فى بيت المقدس - أبهره الله - بمدرسة أبى عقبة الحنفى  
والقاضى الزنجانى يلقى علينا الدرس فى يوم جمعة، فبينما نحن كذلك  
إذ دخل علينا رجل بهى المنظر على ظهره إطمار فسلم سلام العلماء  
وتصدر فى صدر المجلس فقال له الزنجانى: من السيد؟

فقال: رجل سلبه الشطار أمس "قطاع الطريق" وكان مقصدى هذا  
الحرم المقدس وأنا رجل من صاعغان من طلبة العلم.

فقال القاضى مبادراً: سلوه - على العادة فى إكرام العلماء بمبادرة  
سؤالهم - ووقعت القرعة على مسألة "الكافر إذا التجأ إلى الحرم هل  
يُقتل فيه أم لا؟"

فأفتى بأن لا يقتل. فسئل عن الدليل فقال الله تعالى يقول:

﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ﴾

قرىء: "ولا تقتلوهم"

وقرىء: "ولا تقاتلوهم"

فإن قرىء: "ولا تقتلوهم" فالمسألة نص.

وإن قرىء: "ولا تقاتلوهم" فهو تنبيه لأنه إذا نهى عن القتال الذى هو  
سبب القتل كان دليلاً بيئناً ظاهراً عن النهى عن القتل، فاعترض عليه

القاضي الزنجاني منتصراً للشافعي ومالك - وإن لم ير مذهبهما على العادة - فقال هذه الآية منسوخة بقوله تعالى :

﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾.

فقال له الصاغانى:

هذا لا يليق بمنصب القاضي و علمه ، فإن هذه الآية التى اعترضت بها على " عامة " فى الأماكن ، والآية التى احتججت بها " خاصة " ، ولا يجوز لأحد أن يقول: إن العام ينسخ الخاص.

فأبته القاضي الزنجاني وهذا من بديع الكلام.

قال ابن العربى:

" ثبت النهى عن القتال فيها قرأناً وسنة ، فإن لجأ إليها كافر فلا سبيل إليه ، وأما الزانى والقاتل فلا بد من إقامة الحد عليهما ، إلا أن يبتدىء الكافر بالقتال فيها فيقتل بنص القرآن".

### الحكم الرابع:

ما المراد بالعدوان فى الآية الكريمة؟

حرّم البارى جل وعلا الاعتداء فى قوله:

﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

(أ) ويدخل فى ذلك ارتكاب المناهى - كما قاله الحسن البصرى من المثلة و الغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا قدرة لهم على القتال.

ويدخل فيه قتل الرهبان وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة فكل هذا داخل فى النهى "ولا تعتدوا".

ويدل عليه ما رواه مسلم عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال:

"أغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع"

وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه قال:

"وُجِدَتْ امرأة في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان".

(ب) وقيل المراد بقوله: "ولا تعتدوا" النهي عن البدء بالقتال وهو مروى عن مقاتل.

(ج) وقيل المراد به النهي عن قتال من لم يقاتل وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية.

قال القرطبي: ويدل عليه من النظر أن قاتل "فاعل" لا يكون في الغالب إلا من اثنين كالمقاتلة والمشاتمة والمخاصمة والقتال لا يكون في النساء ولا في الصبيان ومن أشبههم كالرهبان.

والزمنى والشيوخ فلا يقتلون وبهذا أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه "يزيد بن أبي سفيان"، حين أرسله إلى الشام إلا أن يكون لهؤلاء إذاية، وللعلماء فيهم صور ست:

• الأولى: النساء إن قَاتَلْنَ قَتِلْنَ، لعموم قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾.

• الثانية: الصبيان فلا يقتلون، للنهي الثابت عن قتل الذرية. ولأنه لا تكليف عليهم.

• الثالثة: الرهبان لا يُقْتَلُونَ ولا يُسْتَرْقُونَ، لقول أبي بكر "فذرهم وما حبسوا أنفسهم له".

• الرابعة: الزمّنى، إن كانت فيهم إذاية قُتِلُوا وإلا تُرِكَوا وما هم بسبيله من الزمانة.

- الخامسة: الشيوخ، قال مالك: لا يُقتلون، وهو قول جمهور الفقهاء إذا كان لا ينتفع بهم في رأى ولا مدافعة.
- السادسة: العسقاء؛ وهم الأجراء والفلاحون، لقول عمر: "اتقوا الله في الذرية والفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب".

### ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

- (١) القتال ينبغي أن يكون لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه.
- (٢) الله جل وعلا يكره العدوان والظلم والظغيان أيًا كان مصدره.
- (٣) فتنة المؤمنين بالاضطهاد والتعذيب والتشريد مثل القتل.
- (٤) لا يعتدى على النساء والضعفاء والصبيان ممن لا قدرة لهم على القتال.
- (٥) الجهاد لدفع أذى المشركين وقبر الفتنة وتأمين سير الدعوة.
- (٦) ترك الإنفاق والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس سبب للهلاك.

### حكمة التشريع:

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم هذه الحياة لا يهدأ ولا ينتهى ولا يروى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.

ولا بد لكل أمة من أمم الأرض تريد أن تحيا حياة العزة والكرامة من أن تستعد الاستعداد الكامل لمجابهة عدوها بكل ما تملك من قوة، وأن تأخذ بأسباب النصر فتهيء شبابها للجهاد والقتال، لأنه لا عيش في هذه الدنيا إلا للأقوياء ولا منطق إلا القوة، وقدما قال شاعرنا العربي:

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يُهدمُ ومن لا يظلم الناس يُظلم

والإسلام دين الله إلى الإنسانية يهتم بدعوة الناس إلى الدخول في هدايته والانضواء تحت رايته لينعموا بحياة الأمن والاستقرار ويعيشوا العيشة الكريمة التي أرادها الله لبنى الإنسان، وأن الأمة الإسلامية هي

الأمة التي أختارها الله لإعلاء دينه وتبليغ وحيه وإيصال هذا الهدى والنور إلى أمم الأرض، فإذا وقف أحد في طريق الدعوة وأراد أن يصدّها عن المضى في طريقها فلا بد من دحره وتطهير الأرض من شره لتصل هداية الله إلى النفوس وتعلو كلمة الحق ويأمن الناس على حريتهم الدينية في الإيمان بالله الواحد القهار.

ولذلك شرع القتال لدفع عدوان الظالمين ولتحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإيصالها للناس في حرية واطمئنان، وصدق الله:

﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ولا يقاوم إلا الباغى

المعتدى الذي يريد أن يفرض إرادته على الأمة بالقهر والسلطان وأن يصد عن دين الله بقوة الحديد والنار ويفتن المؤمن بوسائل الفتنة والإغراء ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

**السؤال الثاني: كيف تكون محاسبة النفس حتى لا تقع في الغواية؟**  
**الإجابة:**

النفس الذاكرة لله تعالى في حالة محاسبة، لأنها بذكرها الله امتلأت خشية وخشوعاً إذا مرت بأية تبشر بالجنة بكت شوقاً إليها، وإذا مرت بأية تنذر من عذاب النار شهقت شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيها، فهي دائماً بين نور الوعد ونيران الوعيد، وهي دائماً وجلة ومطمئنة، والمحاسبة ظاهرة صحية، والنفس اللوامة في حال محاسبة لصاحبها، وقد أمر الله تعالى بالنظر فيما قدمت النفس لغد.

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

وحذر الله تعالى من النسيان: قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وأمر جل جلاله عباده أن يحذروا عقابه فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ كما دعا إلى وقفة تأمل في المصير المحتوم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

فتأمل معي كيف عبر عن يوم القيامة بالغد وكأنه لقربه وتحقق وقوعه أصبح كاليوم الذي يلي يومك.

قال سبحانه في آخر سورة الحجر: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١٥﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

واليقين هنا هو الموت الذي لا مفر منه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّرُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

نعم! إن الموت أمر يقين بل هو عين اليقين. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ﴿٦١﴾ إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٦٢﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٣﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٤﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٦٥﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ

مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٢٦﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ﴿١٢٧﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ  
الْحَائِضِينَ ﴿١٢٨﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١٢٩﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿١٣٠﴾

نعم إن اليقين هو الموت الذى لا مفر منه فلا حيلة فى الرزق ولا  
شفاعة فى الموت ولا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه ولا راحة فى  
الدنيا إلا فى رضا الله:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً  
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالَّت سلامته  
فإذا حملت إلى القبور جنازة  
يَوْمًا على آلةِ حدباءٍ محمول  
فاعلم بأنك بعدها محمول

وكانى بتلك الآلة الحدباء تقول لابن آدم:  
انظر إلى بعقلك أنا الهيا لنقلك أنا سرير المنايا كم سار مثلي بمثلك

وبين سور القرآن الكريم مناسبات قوية:  
فالقُرآن لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط بينهما ناظم، لما ختم  
الله تعالى سورة الحجر بقوله:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

بين لنا بعد ذلك ماذا بعد اليقين فقال فى سورة النحل:

﴿أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

والمراد بأمر الله هنا القيامة وإنما عبر عنها بالفعل الماضى.

فقال: "أتى" لأنها متحققة الوقوع.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتٰبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ  
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

كذلك يؤكد الله لنا هذا المعنى المتعلق بإتيان الساعة وقربها حتى لا تأخذنا الغفلة وتستولى علينا مشاغل الحياة فيقول سبحانه في أول سورة الأنبياء:

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قَلُوبُهُمْ ﴾.

ثم زاد الأمر توكيدا فقال:

﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾.

صدقت يا ربنا وتعاليت فنحن نؤمن بك ونتوكل عليك.

لقد أمرتنا بالنظر فيما قدمنا للغد المتحقق الوقوع ونهيتنا عن التشبه بقوم غلاظ الأكباد جفاة الطباع قساة القلوب.

نسوا الله و غفلوا عن ذكره فصارت قلوبهم أشد من الحجارة قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منها الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله، فكان الجزاء من جنس العمل فأنساهم أنفسهم وحسبك بأن ينسى الإنسان نفسه.

إنه حينئذ كأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق.

إنه يومئذ كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، إنه وقتئذ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وممل هو ببالغه.

إنه لخطيئة كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

إن من أنساه الله نفسه عاش في ظلمات في بحر لجي بغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

فإذا ما أنساه الله نفسه نسيه وما أدراك ما نسيان الله للعبد، إنه عندئذ يتغلغل في دوامة عنيفة وكأنه همسة خاطفة في صخب جهنم، قال تعالى:

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ومن ثم جاءت المقارنة في قوله جل شأنه:

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾.

وكيف يستويان وإنما قدم أصحاب النار على أصحاب الجنة في هذه الآية للمبادرة بالوعيد حتى تعود النفس إلى حظيرة القدس ومعارج النور دون ما تسويف أو تأخير لغد فإن الموت يأتي بغتة.

تزوّد من حياتك للمعاد  
وقم لله واجمع خير زاد  
ولا تركز إلى الدنيا كثيراً  
فإن المال يجمع للنفاذ  
أترضى أن تكون رقيق قوم  
لهم زاد وأنت بغير زاد

### السؤال الثالث:

ما هي قصة الجماعة الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، مع شرح هذا الحديث الشريف؟

## الإجابة:

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فبلغ النبي ﷺ ذلك فحمد الله وأثنى عليه وقال:

"ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" رواه البخارى.

## تفسير المفردات:

الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة أو ما دون العشرة ليس فيهم امرأة ويدل على الواحد أيضاً.

تقالوها: استصغروها وعدوها قليلة

ما بال أقوام: ما شأنهم وما حالهم؟

رغب عن سنتي: حاد عن طريقي.

## الشرح:

قدم هؤلاء الثلاثة إلى أزواج النبي ﷺ يسألونهم عن عبادته، فلما عرفوها بدت في أنفسهم أقل مما كانوا يتصورون، لكنهم ردوا ذلك إلى أن النبي ﷺ ليس في حاجة إلى قضاء الليل والنهار في العبادة، لأن جهاده في نشر الدين وفي تعليم الناس أحكامه عبادة، ولأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

أما هم فلا سبيل أمامهم لرضا الله إلا كثرة العبادة، فاعتزم أحدهم أن يقضى الليل فى تهجد، وعزم الآخر على أن يصوم الدهر كله، ورأى الثالث أن يقضى حياته أعزب ليتفرغ للعبادة.

فلما علم النبى ﷺ بمقاتلتهم خطب الناس فقال: لقد سمعت أن جماعة قالوا كذا وكذا، وإنى لأعظمكم حباً لله، وأشدكم خوفاً منه، وأرغبكم فى طاعته، لكننى مع ذلك أصوم وأفطر، ولا أقضى حياتى صائماً، وأصلى بالليل وأنام ولا أقضى ليلى قائماً، وأتزوج النساء ولا أعتزلهن ولا أترهب، فمن خالف طريقتى فقد حاد عن تعاليمى.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) لا يكون التقرب إلى الله بأن يكلف الشخص نفسه مالا يطيق من العبادة، لأنه بذلك يجحد حقوق جسمه ويقصر فى مطالب الحياة الأخرى ويعجز عن القيام بحقوق نفسه وبحقوق المجتمع، فلنفسه عليه حق الراحة وحق الاستمتاع بالمباح انحلال من لذات الحياة، ولأسرته عليه حق الرعاية والعناية والسعى فى كسب الرزق، وللمجتمع عليه حق المشاركة بجهده فى العمل والإنتاج لينفع كما ينتفع ولينتج كما يستهلك.

(٢) لا رهبانية فى الإسلام، لأن الإسلام دين لعاملين لدنياهم ولآخرتهم، وما خلق الله الحياة الدنيا ليقضيها لناس فى نسك وانزواء وتحريم لما أحل الله، وإنما خلقها للعبادة والعمل معاً، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ۗ ﴾.

(٣) يفهم من الحديث أن الإسلام يحض على الزواج لأنه استجابة لنداء الطبيعة ووسيلة إلى استدامة الحياة وعمران الأرض وعصمة من الزلل هذا إلى ما فيه من سعادة بالأبناء وسكن إلى الزوجات.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.

وقال ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج".

(٤) يفهم من الحديث أن الإسلام لا يحظر الحلال من الطعام الطيب والشراب السائغ والملبس الفاخر الذي لا سرف فيه ولا خيلاء. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.

(٥) من الكياسة ان يقتدى كل منا بالرسول ﷺ فى طريقة النصح، فإنه ﷺ لم يُسَمَّ هؤلاء الثلاثة فى الجَمْع الذى خطب فيه، بل قال: "ما بال أقوام" وبذلك عرَّفهم وعرَّف غيرهم الصواب فى غير إساءة إليهم ولا توبيخ لهم، وهذا نبل فى الخلق وسمو فى الآداب، ومن أحقُّ بذلك منه وهو الذى قال فيه الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

(٦) من الخير أن يحذّر المسلمون المغالاة فى التدين، لأن المغالاة تضر بهم وتُتفَرِّغ غيرهم من الدين، إذ يمثلونه شاقًا عنيفًا، وهو فى الحقيقة دين كله يُسر وخير.

### السؤال الرابع:

ما شأن الوصية التى أرادها سعد بن أبى وقاص فى مرضه وماذا قال له الرسول ﷺ عندما عاده فى هذا المرض.

نرجو ذكر الحديث مع ذكر التعليق عليه.

## الإجابة:

عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عن قال "مرضت عام الفتح مرضاً أشفيت منه على الموت، فاتانى رسول الله ﷺ يعودنى فقلت: يا رسول الله إن لى مالاً كثيراً وإنى أورت كلاله فأوصى بمالى كله؟ قال: لا . قلت: فالشطر. قال: لا. قلت: فالثلث قال: الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك" (رواه البخارى ومسلم)

### تفسير المصردات:

أشفى على الموت: أشرف عليه.

يعود المريض: يزوره.

الكلالة: هو من لا والد له ولا ولد يرثه عندما يموت.

الشطر: النصف.

تدع: تترك.

عالة: فقراء محتاجين.

يتكفون: يمدون أكفهم سائلين أو يسألون الكفاف أو يسألون ما يكف عنهم حدة الجوع تبتغى بها وجه الله: تقصد به رضا الله وثوابه.

### الشرح:

إلى أى مدى يحق لنا أن نتصرف فى أموالنا بالوصية أو بغيرها عندما تقترب آجالنا؟ وهل يثيبنا الله على المال الذى ننفقه على أهلنا من آباء وأولاد وزوجات وأقارب؟

يبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذا فى قصة سعد بن أبى وقاص عندما مرض فخشى الموت على نفسه فانتهاز فرصة زيارة الرسول وسأله عما إذا كان يحل له أن يوصى بماله كله؟

ولقد كان سعد غنياً واسع الثراء ولم يكن له عام الفتح أولاد فسأل الرسول صلوات الله عليه:

هل له أن يوصى بماله كله؟ وفى رواية أخرى أن السؤال كان فى عام حجة الوداع لا فى عام الفتح وأن سعداً كانت له حينذاك ابنة واحدة وأن السؤال كان عن حقه فى أن يوصى بثلثى ماله.

وأياً ما كان الأمر فقد أجاب الرسول ﷺ عن سؤال سعد، فمنع الوصية بأكثر من الثلث، ووصف الثلث بأنه كثير، وعلل لهذا المنع بحق الورثة على مورثهم فى أن يدع لهم ما يعيشون به، ثم أكد أن الثواب - وهو ما يحرص عليه من يريد الوصية بأكثر من الثلث - تكفله له النفقة على أقاربه وعلى كل من يعول حتى زوجته ما دام يقصد بتفقتة رضا الله.

وقد جاء جواب النبى ﷺ على سؤال سعد حكيمًا محققًا لمصالح صاحب المال ووارثه الموصى له.

أما صاحب المال فإن له حق الإيضاء بثلث ماله لم يسلب هذا الحق ولم يقيد فى استعماله بما يشبه أن يكون حجراً عليه وفى منحه هذا الحق مصلحة له:

هى مصلحة التقرب إلى الله بالإيضاء للفقراء والمساكين وللمرافق العامة وجهات البر.

وأما الوارث فإن له الحق فى حجز ما زاد على الثلث إن أوصى به صاحب المال: بل لقد رغب الرسول صاحب المال فى أن يدع ورثته أغنياء قائلاً لهم: "إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس" فقد وزن بين حال الورثة وهم أغنياء وحالهم وهم فقراء محتاجون

يمدون أيديهم إلى الناس ليحفظ صاحب المال إلى الاحتفاظ لهم بثلثي ماله على الأقل.

وأما الموصى له فواضح أن حصوله على ثلث ما تركه الموصى يكفل مصلحته ويحققها على أكمل وجه، وهذا هو ما عناد الرسول بقوله: والثلث كثير. على أن الرسول لم يكتف بذلك التعليل بل أضاف إليه قوله: "وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك".

فأبأن لصاحب المال أن ثواب الله لن يفوته إذا هو اقتصر على الثلث رعاية لحق وورثته، وأن كل ما ينفقه قاصداً به رضا الله حسنة سيثاب عليها، حتى ما يأكله هو إذا قصد به التقوى على العبادة، وما تأكله زوجته إذا قصد به امتثال أوامر الله في كفالة الزوجة، وما ينفقه على إطعام أولاده أو كسوتهم أو تعليمهم أو علاجهم إذا كانت غايته من إنفاقه هي التقرب إلى الله لتشتتهم على طاعته وتقواه، وما يعين به والديه على مطالب الحياة وحاجاتها إذا كان بهذه الإعانة مستجيباً لأمر الله بالإحسان إليهما، وهكذا سائر الأقارب.

ما يرشد إليه الحديث:

- (١) عيادة المريض واجبة على أهله وذويه وعلى الحاكم إذا سمح بها وقته لأنها من أخلاق النبوة.
- (٢) الإسلام لا يريد للمسلمين الضعف أو الذل بسبب الفقر بل هو لا يرضاه لهم فعليهم أن يكونوا أقوياء أعزاء ولدكن على ألا يكذبوا ولا يدلسوا.
- (٣) المرء يثاب على كل عمل يقصد به رضا الله ولو كان مما تتطلبه الفطرة.
- (٤) جمع المال من طريقه المشروعة مطلوب وإنفاقه في وجوه البر مرغوب فيه، ولكن على ألا تهمل الحقوق الأخرى فيه.

- (٥) الوصية بأكثر من الثلث ممنوعة متى كان هناك ورثة للموصى.
- (٦) ينبغي لمن ترك مالا قليلاً وورثته فقراء أن يدع الوصية مراعاة لحال الورثة.
- (٧) صلة الرحم وبر الأقارب أفضل من صلة الأجنبي وبرهم، فعن ثوبان مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه أصحابه في سبيل الله".
- (٨) الإسلام يعنى بحقوق الفرد والأسرة عنايته بحقوق الجماعة، فهو بحق دين الفطرة.

تم بحمد الله تعالى كتابنا:

"رحلة مباركة مع القرآن العظيم"

عبد الحميد كشك

## الفهرس

- ٣ ..... مقدمة الكتاب
- ٦ ..... رحلة مباركة مع القرآن الكريم
- ١١ ..... الحث على مدارس القرآن
- ٢١ ..... الترغيب فى تلاوة القرآن
- ٤٤ ..... الإسلام شريعة الأخلاق
- ٤٩ ..... ذكر الله تبارك وتعالى
- ٦٩ ..... المؤمنون الصادقون
- ٧٩ ..... سياحة مباركة مع الصيام
- ٩٠ ..... شفاء لما فى الصدور
- ١٠٧ ..... أنت تسأل والشيخ يجيب
- ١١٢ ..... لطائف التفسير
- ١١٦ ..... الأحكام الشرعية

رقم الإيداع

٢٠٠٦ / ١٣٥٨٣

I. S. B N. الترقيم الدولى

977 - 209 - 148 - 8